فهم النص القرآني في الاستشراق المبكر

كتاب ديانة المحمديين لأدريان رولان مثالاً

د. عبد الإله القصراوي(*)

ملخص الدراسة:

سعت هذه الدراسة إلى تناول طبيعة فهم النص القرآني وتأويله في كتاب من الكتب التي مثلت الاستشراق المبكر، هو كتاب ديانة المحمديين (١٧٠٥) لأدريان رولان، في ترجمته الفرنسية سنة (١٧٢١).

اتسم كتاب أدريان رولان بنضج كبير في تعامله مع الإسلام والقرآن الكريم، وقد سعينا في هذا البحث إلى بيان طبيعة فهم النصوص القرآنية وتأويلها في القسم الثاني منه، وهو القسم الذي ضم أربعين مسألة تتعلق بآراء خاطئة وأحكام مسبقة ومغالطات اعتمدها وروج لها كُتاب «مسيحيون ضد الإسلام"؛ منها مسائل ناقشت مفهوم (الإله) عند المسلمين، وأخرى ناقشت طبيعة المخلوقات الغيبية (ملائكة، جن،...) عندهم، واهتمت مسائل أخرى بمناقشة مغالطات حول شخصيات وأعلام قرآنية، كما ناقشت مسائل أخرى آراءً خاطئة حول نبي الإسلام. وقد ركز البحث على تسع عشرة مسألة من بين مجموع المسائل، ميزنا فيها بين المسائل التي ناقشت الفهم السيء لنص من النصوص القرآنية بسبب سوء الترجمة، وبين مسائل ناقشت الفهم السيء لنص قرآني معين، اختلف فيه المفسرون المسلمون أنفسهم.

(*)مملكة المغرب

وقد دعا رولان إلى الابتعاد عن مواجهة الإسلام بسلاح الدعاية الكاذبة والترويج للمغالطات الذي اعتمده سابقوه من الكتاب، وأن تكون مواجهتهم له قائمة على المعرفة المتعمقة والمتينة، وهو ما لن يتأتى - في نظره - إلا بإتقان اللغة العربية أولاً. ويبقى كتاب رولان مع ذلك من الكتب التي ساهمت في إبراز بعض ملامح الإسلام الحقيقية في مرحلة كانت المعرفة به جد قليلة بأوروبا.

الكلمات المفتاحية: أدريان رولان، الاستشراق، فهم، النص القرآني، الديانة المحمدية

المقدمة:

يحيلنا الحديث عن فهم النص القرآني في كتاب (ديانة المحمديين)[1] لأدريان رولان (١٦٧٦ – ١٧١٨) على التطور الذي شهدت عليه التأويليات في مسارها، خاصة التأويليات التقليدية؛ فقد ألغى الإصلاح الديني، مع البروتستانتيين، احتكار الكنيسة لتفسير الكتاب المقدس، وفتح مجال تفسيره لكل من يعرف القراءة والكتابة، انطلاقا من مبدأ: أن الكتاب المقدس واضح في ذاته، ومن مبدأ: وحده الكتاب المقدس: Sola Scriptura؛ غير أن السقوط في فوضى كثرة التفسيرات عجل بالحاجة إلى الكتابة في قواعد التأويل والتفسير، ومن أبرز من مثل هذا التوجه ماتياس فلاسيوس(*)، الذي اكتملت معه الصورة التمهيدية والتأسيسية للهرمينوطيقا، وهي هرمينوطيقا تدعو إلى التمسك بالمعنى الحرفي للنص؛ وقد وضع في كتابه (مفتاح الكتابات المقدسة) الصادر سنة (١٥٦٧) أساس تطوير التأويل البروتستانتي، حيث دافع على أن الكتاب المقدس واضح بذاته، معتمدا في قراءته على الجانب اللغوي والنحوي، معتبرا أن ما نراه غامضا في الكتاب المقدس يعود إلى عدم إجادتنا للغة.[2] وقد كان القرن السابع عشر مرحلة مهمة من تطور التأويليات التقليدية، خاصة مع يوهان كونراد دانهاور(*)، الذي بدأ معه التفكير المنهجي والتقني بخصوص طرق تفسير النصوص وتأويلها؛ وقد استعمل في كتابه (الهرمينوطيقا المقدسة أو منهج تأويل النصوص المقدسة) الصادر سنة (١٦٥٤)، لفظة (هرمينوطيقا) للدلالة على علم خاص ومستقل يُعنى بقواعد التفسير والتأويل[3]؛ والهرمينوطيقا بهذا المعنى، هي نظرية تفسير الكتاب المقدس، وهو ما يجعلها بمثابة علم التفسير عندالمسلمين.

وقد سار على خطى دانهاور عديدون منهم يوهان كلاوبيرج(*) في كتابه (المنطق القديم والجديد) الصادر سنة (١٦٥٤)، الذي «قدم تمييزًا متقدمًا بين قواعد التأويل باحترام عموميتها، وأوضح أن وضع اليد على نية الكاتب يبقى الهدف الأسمى للممارسة

(1) Reland, Adrian, la Religion des Mahométans, tirée du latin de M. Reland, (traduite en francais par David Durand). La Haye, Vaillant, 1721.

(*) Matthias Flacius Illyricus (1520 – 1575)

(٢) محمد شوقي الزين، الإزاحة والاختلاف صفائح نقدية في الفلسفة الغربية. الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، ص: ٤٩.

(*) Johann Conrad Dannhauer (1603-1666)

(٣) الإزاحة والاختلاف، ص: ٤٣، ٥٠.

(*) Johann Clauberg (1622 – 1665)

التأويلية» .[٤]

وفي نفس السياق نذكر باروخ سبينوزا، الذي ورث روح الإصلاح، واتخذ في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) الصادر سنة (١٦٧٠)، مسلكا جديدًا في فهم النصوص المقدسة؛ تمثل في اعتماد معيارية العقل لتأويل الكتاب المقدس. ونذكر بهذا الصدد كذلك جهود ريتشارد سيمون[*] النقدية في كتابه (التاريخ النقدي للعهد القديم) الصادر سنة (١٦٧٨).

ونفترض في بحثنا هذا، أن تطور التأويليات التقليدية في القرن السابع عشر، كان من العوامل التي ساهمت في توجيه أدريان رولان إلى قراءة متقدمة للعديد من النصوص القرآنية في القسم الثاني من كتابه (ديانة المحمديين).

انتقد أدريان رولان في كتابه كثيرا من الأحكام التي كونها الكُتاب الغربيون عن الإسلام قرونا طويلة، استجابة للتعصب الديني الذي أملته الكنيسة؛ الشيء الذي جعل كتاباتهم تتسم بالحدة والعداء والتأليب. ولم يخرج عن هذا الاتجاه إلا بعض الكُتاب الذين سعوا إلى بعض الإنصاف والحياد؛ ويعد رولان في هذا الصدد من المستشرقين الأوائل الذين فتحوا الباب أمام الدراسة الموضوعية للإسلام.

وقد سعينا في بحثنا هذا إلى بيان طبيعة فهم النصوص القرآنية وتأويلها في كتاب (ديانة المحمديين) الصادر سنة (١٧٠٥)، على اعتبار أن الكاتب كان يجيد اللغة العربية، مما مكنه من التعامل مع المصادر بلغتها الأم؛ وهو ما أبعده نسبيًّا عن السقوط في الفهم السائد لكثير من النصوص القرآنية عند سابقيه أو معاصريه من الكُتاب المسيحيين، بل إنه قدم ترجمةً بديلةً لمعاني النصوص القرآنية مثار الإشكال.

ويمكن القول إن كتاب أدريان رولان هو من الكتب التي شكلت محطة مهمة في تاريخ تعامل الفكر الأوروبي مع الإسلام، حيث سعى صاحبُه إلى الإنصاف والحياد، كما توفرت له الشجاعة الكافية لتحدي الميولات العامة، وما تحمله عن الإسلام من أحكام مسبقة موروثة عن العصور الوسطى وما تلاها، رغم أنه لم يتخلص من تبعات العصر؛ فقد كان كتابه مليئا بصفات سلبية في حق نبي الإسلام، وهي كثيرة سواء تلك التي ينقلها رولان عن الكُتاب المسيحيين أو تلك التي يصفه بها هو نفسه.

وقد حاول البحث الإجابة عن مجموعة من الأسئلة، نسوقها كما يلي:

- ما هي مصادر رولان في قراءته للقرآن؟ وكيف تعامل معها؟
- لماذا تحدى الأحكام المسبقة عن الإسلام في عصره؟ وما الدافع وراء تأليف الكتاب؟
- ما موقفه من ترجمات معاني القرآن السابقة والمعاصرة له؟
- هل كان من السهل على أدريان رولان إصدار كتاب يصحح كثيرًا من الأحكام المسبقة عن الإسلام؟ وهل كانت لهذه الخطوة من عواقب؟

---

(4)Mantzavinos, C., "Hermeneutics,",in The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Spring 2020 Edition), Ed. Edward N. Zalta, URL= <https://plato.stanford.edu/archives/spr2020/entries/hermeneutics/>.

(*) Richard Simon (1638 – 1712)

- هل استحضر رولان ردَّ فعل المتلقي؟

- هل كان للكتاب تأثير إيجابي على المهتمين؟

أولا: مصـادر رولان فـي تعامله مع النصوص القرآنية

(١) الكتاب ومنهجه

يعد كتاب (ديانة المحمديين) للمستشرق الهولندي أدريان رولان من بواكير الأعمال الاستشراقية، التي اتسـمت بكثيـر من النضـج في تناولها للإسـلام. كتبه صاحبه باللغة اللاتينية سـنة (١٧٠٥)، وأعاد طبعه طبعة موسـعة سنة (١٧١٧). وقد ركزنا في بحثنا هذا على بيان طبيعة فهم النصوص القرآنية وتأويلهـا في القسـم الثانـي منـه، معتمدين على الترجمة الفرنسـية لدافيد دوران (١٦٨٠-١٧٦٣) سـنة (١٧٢١)، وهـي واحدة من ترجمـات عديدة تُرجـم إليها هذا الكتـاب بأوروبا؛ خاصة في العقد الثاني من القرن الثامن عشر.

قسم أدريان رولان كتابه على قسمين؛ القسم الأول: قدَّم فيـه ترجمةً لاتينيةً لمخطـوطٍ في حوزته عن أصول العقيدة الإسـلامية، لمؤلف مسلم لم يذكره، مع تسجيله لملاحظات توضيحية. والجدير بالذكر فـي هذا الصدد، أن رولان قد فسـح المجال لمؤلف مسلم يشرح عقيدة الإسلام، وهو الأمر الذي استبعده الكُتاب المسيحيون في القرون السابقة.

أما القسـم الثاني: إضاءات على الديانة المحمدية)، فقـد عالـج أربعين مسـألة تتعلـق بـآراء خاطئة، وأحكام مسـبقة، ومغالطـات اعتمدهـا وروج لها كُتاب مسيحيون ضد الإسـلام؛ التي وصفها رولان مرارًا في هذا القسم من كتابه بالأوهام، والافتراءات، والاتهامـات الزائفـة، والجهـل الصريـح، والخداع الفاضـح... كما سـنرى لاحقًا في تناول المسـائل المتعلقة بفهم النصوص القرآنية.

ويمكن توزيع هذه المسائل الأربعين[٥] إلى:

أ/مسـائل همت مناقشـة مفهوم (الإله) في الإسلام:

١. هل حقًّا يؤمن المحمديّون بإلهٍ مجسَّم؟

٢. هل يجعل المحمديّون من الله خالقًا للشرّ؟

٣. هل يعبد المحمديّون الزهرة؟

٤. هل حقًّا يعبد المحمديّون كلّ المخلوقات؟

٥. هل ينفي المحمديّون العناية الربانيّة؟

٦. هل يعتقدون أن الله نفسه يصلي على محمد؟

٧. هل حقا لا يشير القرآن لإله خالق خالد؟

ب/ مسـائل تعلقت بمناقشة المخلوقات الغيبية عند المسلمين (الملائكة، والجن، والشياطين):

١. هل في مبادئ المحمديين أن الشياطين هم أولياء لله ولمحمد؟

٢. هل يوجد ملائكة إناث حسب المحمديين؟

٣. هل يذنب الملائكة الميامين حسب المحمديين؟

٤. هل الشياطين لا تسمع حسب المحمديين؟

٥. هل المحمديّون أوريجانيون[*]

ج/ مسائل ناقشت مغالطاتٍ حول شخصيات وأعلام قرآنية:

١. هل من المؤكد حقـا أننا نجعل في القرآن مريم أختا لموسى؟

---

(5) la Religion des Mahométans, pp: CCIII a CCVII.

(*) نسـبة إلى أوريجانـوس (Origène (١٨٥-٢٥٣))، رجل دين مسيحي من القرن الثالث الميلادي.

٢. هل وضــع محمد هامان، معاصــر مردوخ، في قرن فرعون وموسى؟

٣. هل أنكر محمد أن عيسى المسيح قد مات؟

٤. هل صــارت مريم العذراء حاملا من أكلها للتمر حسب المحمديين؟

٥. هــل حقا خلــط محمد بيــن فرعون الــذي ربى موسى، وفرعون الذي عذب شعب الله الأخير، والذي غرق في البحر الأحمر؟

٦. هــل يُعــد موســى مــن الملعونيــن فــي نظــر المحمديين؟

٧. هل [فعلا] لا يعترف المحمديون إلا بثلاثة أنبياء فقط: موسى وعيسى المسيح ومحمد؟

د/ مســائل ناقشــت آراءً خاطئــةً حــول نبي الإسلام، وآراءً أخرى منسوبة إليه:

١. هل يقصد المحمديون مكة لزيارة قبر النبي؟

٢. هل يتناقض مؤلف القرآن مع نفســه بخصوص القرآن عينه؟

٣. هل حقا كان محمد جغرافيا سيئا ليضع مكة في بلاد العمونيين؟

٤. هل تناقض محمد مع نفسه في قرآنه، فقال مرة إنه لا يعرف القراءة ومرة إنه يعرفها؟

٥. هل تناقض محمد مع نفسه أيضا، فقال مرة إنه يقود الناس إلى طريق الخلاص، ومرة إنه لا يعرف ما يكون عليه هو نفسه وأتباعه؟

٦. هل خُلق الإنسان من علقة حسب محمد؟

٧. هل نفى محمد خلود الروح؟

٨. هل لقن محمد [لأتباعه] أن من قتل عدوه، أو قتله عدوه هو من الناجين قطعا؟

٩. هــل حقا مــا قيل بأن محمدا ربــى حمامة تأتي لتهدل في أذنه وقت نوبات صرعه؟

١٠. هل أخذ محمد الختان عن معاصريه من اليهود؟

هــ/ مسائل تعلقت بالنظافة عند المسلمين:

١. هل يتصور المحمديون أن أدران النفس تُغســل بالوضوء؟

٢. هل الكلب حيوان طاهر عند المحمديين؟

٣. هــل [فعــلا] لا يأخذ المحمديــون حذرهم وهم يغسلون وجوههم؟

٤. ومسألتين عن النساء المسلمات:

٥. هــل ســيتم إنقــاذ النســاء [مــن النار] حســب المحمديين؟

٦. هل يسمح للمحمديين انطلاقا من مبادئ دينهم أن يتزوجــوا بكثيــر مــن النســاء، اللائــي يمكنهم رعايتهن؟

و/ مسألتان عن الجنة والنار:

١. هل ينكر المحمديون وجود الجحيم؟

٢. ما جنة محمد وما الحبور الأكبر عند المحمديين؟

ز/ مسائل ناقشــت تصوراتٍ عقديةٍ مختلفةٍ للمسلمين:

١. هل حقا يعتمد المحمديون هذا المبدأ: كل امرئ يمكن أن ينجو في دينه بشرط أن يعيش خَيّرًا؟

٢. إلــى أي جهة يولــي المحمديــون وجوههم في الصلاة؟

٣. هــل يعتقــد المحمديّــون انطلاقًا مــن مبدأ في عقيدتهم بجواز نقض عهودهم مع من يســمونهم الكفار؟

٤. هل يؤمن المحمديون بتعددية العوالم؟

وقد ركزنا في هذا البحث على المسائل التي ناقشت فهم العديد من النصوص القرآنية وتأويلها في الفكر المســيحي الغربي، والتي كان عددها تســعة عشر

مسألة من بين مجموع مسائل القسم الثاني؛ والتي اخترنا أن نقسمها بدورها إلى:

١. مسائل ناقشت الفهم السيء لنص من النصوص القرآنية، والذي مرده في الغالب إلى سوء الترجمة.

٢. ومسائل أخرى ناقشت الفهم السيء لنص من النصوص القرآنية، لكنه نص اختلف حوله حتى المفسرون المسلمون أنفسهم؛ بمعنى أن هناك نصوصا قرآنية أسيء فهمها، لكنها تتضح بمجرد تقديم ترجمة مقبولة لها، وهو ما فعله رولان مرارا في عدة مسائل. وهناك نصوص أخرى أسيء فهمها من المسيحيين الغربيين، واختُلف في فهمها حتى بين المسلمين أنفسهم، وهو اختلاف أشار إليه رولان في مناسبات عديدة إشارة مجملة.

إذن، لقد سعى أدريان رولان في كتابه (ديانة المحمديين) ليكون تناوله للإسلام تناولاً أكثر دقةٍ وحياديةٍ وموضوعيّةٍ[٦] ، مقارنة بمن سبقه من الكُتاب المسيحيين في القرون السابقة، والذين «أغلظ لهم العصا» في مناقشته لآرائهم ضمن القسم الثاني من الكتاب. كما شدد رولان في مقدمة كتابه على تعلم اللغة العربيةٍ [٧] ، والعودة إلى المصادر في لغتها الأم، تجنُّبًا لسوء الفهم الذي وقع فيه هؤلاء الكُتابٍ [٨]. ولقد كانت غاية رولان من عمله هذا مواجهة الإسلام بطريقة مختلفة عما ساد في القرون السابقة؛ الشيء الذي جعله يدعو إلى تغيير الأفكار الخاطئة التي حملها المسيحيون الغربيون قرونًا طويلةً في مواجهتهم للإسلام، والدعوة بالمقابل إلى التسلح بالمعرفة المتعمقة في هذه المواجهةٍ.[٩]

أما بخصوص طريقة رولان في معالجة المسائل التي تناولت فهم النصوص القرآنية؛ فقد كان يورد مواقف العديد من الكُتاب المسيحيين الملوِّحين برأي خاطئ حول مسألة معينة تتعلق بفهم نص قرآني معين، وقد يختار أحدهم أو بعضًا منهم ليُفصِّلَ في موقفه أكثر، أو يورد اقتباسا من كتاب. ثم ينتقل بعدها ليبين تهافت آرائهم، التي يعزوها في الغالب إلى سوء الترجمة، وإلى معرفتهم القليلة باللغة العربية، حيث يقدم ترجمة بديلة لمعاني النص القرآني مَثَار سوء الفهم، هي الأقرب في نظره إلى الصواب، كما ينوه - في مناسبات عديدة - بالترجمة الفرنسية لدو رييه[*]، وقد يستشهد بترجمة معاني نصوصٍ قرآنيَّةٍ أخرى؛ لدعم فهمه لمسألة من المسائل، كما قد يشير إلى رأي المسلمين في مسألة معينة إشارة مجملة، أو يعزز رده أحيانا بإيراد مواقفَ لكُتّابٍ مسيحيين، يعتبر رأيهم منصفًا في المسألة. أو يردَّ عبرَ اعتماد تأويلٍ عقلانيٍّ مقنعٍ. يقول رولان: «بدايةً أذكر الرأي، ثم أقدم شهودي

(6)la Religion des Mahométans (préface de l'auteur, p: CXIII, CLXX.). (Eclaircissemens, p: 69).

(7)la Religion des Mahométans (préface de l'auteur, p: CXXII, CXXIV.).((Eclaircissemens, p: 68).

(8)la Religion des Mahométans (préface de l'auteur), p: CLV a CLVIII.

(9)Ibid, p: CXIII, CXXVI.

(*) André Du Ryer (1580? - 1660?)

الذين يتحاملون على المحمديين، بعدها، أكتشف الخطأ عادة انطلاقًا من أصل الخطأ نفسه، وأدحضه بحجج لا تناقش. كل هذا لا يمكن إلا أن يكون عمليًّا جدًّا، ومتنوعًا جدًّا...».[١٠]

وقد اعتمدنا في هذا البحث على الترجمة الفرنسية لدافيد دوران، التي نشرت سنة (١٧٢١)، غير أن هذا المترجم الفرنسي قد تصرف كثيرًا في ترجمته؛ باستثناء مقدمة المؤلف، والجزء الخاص بأصول العقيدة الإسلامية، فنجده - باعترافه[١١] - قد أضاف العديد من الملاحظات الشخصية إلى الهوامش التي وضعها رولان، كما تدخل في القسم الثاني من الكتاب (إضاءات) وهو القسم مدار اهتمام هذا البحث. وأضاف كذلك إلى متن الكتاب ترجمة نص آخر حول أصول العقيدة الإسلامية لكاتب مسلم.

إذن، فتصرف المترجم الفرنسي في ترجمته سيكون من الأمور التي من شأنها ألا تخدم إيجابيًّا هذا البحث.

ثانياً: مصادر رولان في القسم الثاني من الكتاب

أ/ من القرون الوسطى والمرحلة المبكرة لعصر النهضة

عاد رولان في القسم الثاني من كتابه (إضاءات)، إلى العديد من الكتابات الوسيطية التي تناولت الإسلام، وعكست طبيعة النظرة إليه آنذاك؛ حيث نظرت أوروبا المسيحية إلى الإسلام نظرة عداء، واستمد الوعي الغربي الوسيطي من توسع المسلمين القوي و«الأسس الانفعالية لتمثله للإسلام، ذلك التمثل المجبول أساسا بالعداوة»[١٢]. ولم يستطع الغرب - بأفقه الضيق - أن يُكوِّنَ خلال العصور الوسطى الأولى «رؤيةً متجانسةً ومتحققةً كفاية عن الإسلام»[١٣]، حيث نظر المسيحيون الأوائل إلى هذا الدين «نظرة متعددة الجوانب، ممزوجة بالخوف والدهشة والاعتراف الشاق بنوع من القرابة الروحية»[١٤]، فقد كان هناك وعي من المسيحيين بأن المسلمين ليسوا وثنيين[١٥]. كما ظهر رأي آخر ينظر إلى الإسلام على أنه فرع من المسيحية، كما هو الحال مع يوحنا الدمشقي في كتابه (الهرطقات)، فالإسلام بالنسبة إليه «يؤمن بالله، لكنه ينكر بعض الحقائق الأساسية في المسيحية»[١٦].

وقد توجب بعد الحروب الصليبية - بحسب هشام جعيط - التمييز بين رؤيتين بخصوص الإسلام؛ رؤية العالم الشعبي، التي تغذت من الحروب الصليبية، ورؤية العالم المدرسي (السكولائي)، التي تهمنا في هذا الصدد، وهي رؤية فكرية انتشرت على المستوى العقلاني، وتغذت من المواجهة الإسلامية – المسيحية بإسبانيا، وهي رؤية متبحرة، كان ممثلوها على معرفة تامة بالإسلام[١٧].

لقد تهيأت هذه الرؤية العالمة في القرن الثاني عشر، وتطورت في القرنين الثالث عشر والرابع

(10)la Religion des Mahométans (Eclaircissemens), p: 69.

(11)la Religion des Mahométans (préface du traducteur), pp: XI, XII, XIII, XIV, XV,XXXII, XXXIV.

(١٢)هشام جعيط، أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ٢٠٠١، ص: ١١، ١٢.

(١٣) المرجع نُفسه، ص: ١٢.

(١٤) ألبرت حوراني، الإسلام في الفكر الأوروبي. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٤، ص: ١٩.

(١٥) المرجع نُفسه، ص: ٢٠.

(١٦) المرجع نُفسه، ص: ٢٠.

(١٧) أوروبا والإسلام، ص: ١٢.

عشــر، وامتدت حتى القرن الثامن عشــر[١٨] . وهي رؤيــة تنظر إلى الإســلام باعتباره فكرة ناســوتية تهدف إلى خدمة مصلحة النبي الشخصية، وتنظر إلــى القــرآن باعتبــاره «مجموعــة مــن الخرافات مستعارة من التوراة وبشكل مشوه» [١٩] . وهي رؤية تحمل عداءً كبيرًا للنبي محمد واصفةً إيّاهُ بالكذّاب، ومتهمةً إيّاهُ بالشهوانية والعنف واللاأخلاقية [٢٠] .

لقد نظرت هذه الرؤية إلى الإسلام باعتباره جزءا من الحقيقة المسيحية، وتم السعي إلى البرهنة على بطلانه من خلال ضوابط الكنيســة. إن الإســلام – حســب هذه الرؤية – دين مشوش وزائف [٢١]، دين (سيء التسلح، بدائي، ودون إعداد عقائدي...[دين] تبســيطي) [٢٢] ، دين (الجنس والفســق والهمجية والغريزيــة) [٢٣] ، ومــن هــذا المنظــور أدانت هذه الرؤية تعدد الزوجات في الإســلام، واتهمته بالنظر إلى المرأة بدونية، واتُّهِم المجتمع الإسلامي بافتقاد العفــة [٢٤] . كمــا نُظر إلى الإســلام كذلــك على أنه دين عدوان وقــوة وعنف. إنه دين (لا يقبل الخلاف العقلاني)[٢٥].

يخلص جعيط إلى أن هذه الرؤية العالمة – رؤية العالم المدرســي – هي رؤية «لا تســاوي شيئا من وجهــة نظر معرفة الإســلام»[٢٦]، إنها رؤية جدالية وجدانية تخفي شعورا بالنقص، لكنها تبقى مهمة لمعرفة ذهنية بعض البيئات الفكرية الوسيطية[٢٧].

وفيمــا يلي عرضٌ لأهــم المصادر التي عاد إليها رولان في هذه المرحلة، ســواء منها التي نُشرت في زمانها أو التي تأخر نشرها:

– يوحنا الدمشقي: (الهرطقات) (ق٨)

– ثيوفانوس المعترف: (تاريخ تيوفان) (ق ٩)

– قسطنطين السابع: (تدبير الإمبراطورية) (ق ١٠)

– جورج سيدرينوس: (خلاصة التاريخ) (ق١١)

– إيتيميوس زيجابين: (الدرع العقائدي) (ق١٢)

– آنا كومنينا: (ألكسياد) (ق١٢)

– مايكل جليكاس: (حوليات) (ق ١٢)

– ألبرت ديكس: (تاريخ حملة القدس) (ق١٢)

– نيكيتاس شونيات : (كنوز الأرثودوكسية) (ق١٢)

– بطــرس المحترم: (مختصــر الديانة المحمدية) (ق١٢) (متضمن في ترجمته للقرآن التي أشــرف عليها)

– داوود قمحي: (تعليق على سفر إشعياء)

– بارتيلمي الرهوي:

– (دحض المحمدية)

– (مختلفات مقدسة، أو مقطع من الأعمال اليونانية المختلفة المتعلقة بالأمور الكنســية). نشره إيتيان الناسك ١٦٨٥

– جاك دو فيتري: (التاريخ الشرقي) (ق ١٣)

– ماثيو الباريسي: (السجل العظيم) (ق ١٣)

(١٨) المرجع نُفسه، ص: ١٢.

(١٩) المرجع نُفسه، ص: ١٣.

(٢٠) المرجع نُفسه، ص: ١٣.

(٢١) المرجع نُفسه، ص: ١٣.

(٢٢) المرجع نُفسه، ص: ١٣.

(٢٣) المرجع نُفسه، ص: ١٤.

(٢٤) المرجع نُفسه، ص: ١٤.

(٢٥) المرجع نفسه، ص: ١٤.

(٢٦) المرجع نُفسه، ص: ١٥.

(٢٧) المرجع نُفسه، ص: ١٥.

- توماس برادفاردينوس: (في سبيل الرب ضد بيلاجيوس وفي فضيلة الأسباب) (ق١٤)
- الكاردينال نقولاس الكوزي:(القرآن المفحوص) (ق١٥)
- بيير دو لاسيفالري: (رسالة في غيرة المسيح اتجاه اليهود والسراسنة والكفار) (ق١٥)
- نيكولاس شالكونديلاس: (تاريخ الأتراك وسقوط الإمبراطورية اليونانية) (ق١٥)
- جيروم سافونارول:
- (انتصار الصليب) (ق١٥)
- (تعليقات على المذهب المحمدي) (ق١٥).

ب/ مصادر رولان في القرنين السادس عشر والسابع عشر

تغيرت النظرة إلى الدين بأوروبا في القرنين السادس عشر والسابع عشر، فلم يعد يُنظر إليه باعتباره (مجرد أشكال من العبادة)، كما كان ينظر إليه قديما، بل صارت الكلمة تعني (أي نظام للمعتقدات والفرائض والممارسات)[٢٨] ، وعلى هذا الأساس، يكون الحديث عن أديان مختلفة، جميعها تستحق الدراسة [٢٩].

كما لم تعد أوروبا المسيحية تنظر إلى الإسلام باعتباره خصمًا لاهوتيًّا، بل أضحى دينًا بسيطًا تم إخراجه من «التيار الروحي المركزي للإنسانية»[٣٠]. ولم تعد هناك أيضا مجادلة للإسلام، لكن الوعي الديني قد عجز«عن تجاوز جذوره العقائدية مستهدفا حقيقة النبوة المحمدية»[٣١]. بيد أن الاتجاه العلماني غير المتدين قد تمكن من التعامل مع الإسلام بعمق أكبر، باعتبار هذا الدين جزءًا متمّمًا ومهمًا من الحياة الإنسانية[٣٢].

وقد اغتنت وتنوعت النظرة الفكرية إلى الإسلام في القرنين السادس عشر والسابع عشر، حيث صارت مباشرة أكثر، وهادئة أكثر. وإذا كان الوعي العامي يخلط بين الشرق الهازل والشرق المروع، فإن الوعي الفكري والسياسي للنخبة قد اهتم بالإسلام والشرق الجديين، نازعا عنهما خصوصيتهما[٣٣]. ويشير حوراني إلى أنه في نهاية القرن السادس عشر قد بدأت «أول دراسة منتظمة للإسلام وتاريخه في أوروبا الغربية» [٣٤] ، كما وبدأت في القرن السابع عشر دراسة المصادر العربية دراسة جدية وثابتة في العديد من الجامعات الأوروبية، حيث برزت صورة الإسلام بروزا واضحا[٣٥]. وفيما يلي عرض لأهم المصادر التي عاد إليها رولان في هذين القرنين:

- رفائيل فولتيران: (تعليقات على شؤون المدن) ١٥٠٦
- جون أندري مور: (تهافت المذهب المحمدي والقرآن) ١٥١٥
- بوليدور فيرجيل: (مبتدعو الأشياء) (ق١٦)
- كتابا (الحجة الثانية ضد الدجال وكتاب الحجة الرابعة ضد الدجال) (متضمنان في كتاب (القرآن)

(٢٨)الإسلام في الفكر الأوروبي، ص: ٢٤.
(٢٩) المرجع نفسه، ص: ٢٤.
(٣٠) أوروبا والإسلام، ص: ١٥.
(٣١) المرجع نفسه، ص: ١٥.
(٣٢) المرجع نفسه، ص: ١٦.
(٣٣) المرجع نفسه، ص: ١٦.
(٣٤) الإسلام في الفكر الأوروبي، ص: ٢٢.
(٣٥) المرجع نفسه، ص: ٢٢.

المنشور تحت إشراف بيبلياندر ١٥٥٠)

- سِـبتم كاسترنسـيس: (أخلاق الأتراك وأحوالهم وقبحهـم) ضمن كتـاب (القرآن) المنشـور تحت إشراف بيبلياندر ١٥٥٠

- حوليات ماجدیبورج: لمجموعة من المؤلفين. من ١٥٥٩ إلى ١٥٧٤

- جيرونيمـو أوسـوريوس: (فيما يتعلق بشـؤون إيمانويل) ١٥٧١

- سيجموند فايرابند: (تاريخ الأتراك) (ق١٦)

- بيير جريجوار التولوزي: (سينتاجما قانون العالم كله، وقوانين جميع الأمم تقريبًا، والشـؤون العامة الرئيسة....) ١٥٨٢

- يوحنا ليونكلافيوس: (تاريخ الأتراك المسـلمين) ١٥٩١

- فريدريش سيلبورج: (السراسينية أو المحمدية) ١٥٩٥

- مارتن ألفونسو دي فيفالدي: (الشمعدان الذهبي لكنيسة الرب المقدسة (ق١٦)

- والتر رالي في ماجريته (كرونولوجيته).

- جـاك أوغسـت دو تو: (تاريخ تانـي في عصره) ١٦٠٩

- تومـاس أرتوس: (نصر الصليـب وانتصاره على ضلالات محمـد واللوحات النبويـة للإمبراطورين سيفيروس وليون) ١٦١٢

- الكاردينـال روبرت بيلارمـن: (مناظرات تتعلق بخلافات الإيمان المسيحي ضد هراطقة هذا الزمان) (ق١٧)

- ماتياس مارتينوس (مارتن الإتيمولوجي): المعجم التأثيلي (المعجم الفيلولوجي) ١٦٢٣

- ميشيل بوديه: (التاريخ العام لديانة الأتراك، مع حياة محمد والخلفاء الأربعة الأوائل) ١٦٢٦

- فيليبـو جوادنولي: (دفاع عن الدين المسـيحي، ردّاً علـى مطاعن أحمد بن زين العابدين الفارسـي الأصفهاني في كتابه «صاقل المرآة») ١٦٣١

- يوحنا ماكوفيوس له كتاب في (اللاهوت) (ق١٧)

- جون سِلدنوس:

- (سينتاجما آلهة سوريا) ١٦١٧

- (مـن التشـريع الطبيعي والأممي حسـب تعليم اليهود) ١٦٤٠

- إبراهيـم الحاقلانـي: (مختصـر مقاصد حكمة فلاسفة العرب) ١٦٤١

- ليفينـوس وارنيـروس: (خلاصـة تاريخيـة لما قاله المسـلمون بشأن المسيح والعديد من الزعماء الرئيسيين للدين المسيحي) ١٦٤٣

- يوحنا الإسباني: (العظات) (ق١٧)

- جبرائيل الصهيوني: (مدن المشرق وعادات أهلها) (ق١٧)

- جون هنري هوتينغر: (التاريخ الشرقي) ١٦٥١

- يوهانس هورنبيك: (مجموع الخلافات في الدين؛ مع الكفار والهراطقة والمنشقين: أي الأمم واليهود والمحمديين ...) ١٦٥٣

- جورجيـوس هورنيـوس: (التاريـخ الكنسـي) ١٦٥٥-١٦٥٧

- جيسـبيرتوس فوتيـوس: (مناقشـات لاهوتيـة مختارة) ١٦٤٨-١٦٦٩

- بـول ريكـوت: (التاريـخ الراهـن للإمبراطورية العثمانيـة، الـذي يحتوي على المبادئ السياسـية للأتراك؛ النقاط الرئيسة للدين المحمدي...) ١٦٦٨

- ثيودور ريك: (خطبة العمالقة) ١٦٨١
- جوزيف دولابروس: (القاموس الفارسي) ١٦٨٤
- توماس هايد: ما يسمى برحلات العالم، وهي علم أوصاف الكون لأبراهام بريستول، المكتوب بالعبرية، وترجمه إلى اللاتينية توماس هايد؛ يليه رسالة لألبرت بوفوفيوس، عن ليتورجيا (طقوس) الأتراك، والحج إلى مكة، والختان، وزيارة المرضى، وما إلى ذلك... مع ملاحظات كتبها توماس هايد نفسه عامي: ١٦٩٠-١٦٩١
- أبراهام هينكلمان: (القرآن أو الشريعة الإسلامية لمحمد بن عبد الله النبي الزائف...) ١٦٩٤
- هنري سيك: (إنجيل الطفولة العربي) ١٦٩٧
- بارتيلمي هربلوت: (المكتبة الشرقية)١٦٩٧
- بيير بايل: (القاموس التاريخي والنقدي) ١٦٩٧
- بوكوك: (لمعة من التاريخ العربي) ١٦٤٨ – ١٦٥٠
- (ملاحظات متنوعة فيلولوجية - بيبلية، إلى باب موسى موسى بن ميمون، تمت مراجعته وتنقيحه من قبل كريستيان راينسوس) ١٧٠٥

ج) أدب الرحلة

ظهر هذا النوع الأدبي في القرن السادس عشر، لكنه انتشر كثيرا في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وهي المرحلة التي عاش فيها رولان، وفيما يلي أبرز الرحلات التي عاد إليها رولان في كتابه:

- بيتروس بيلونيوس: (ملاحظات حول العديد من الأشياء المتفردة والجديرة بالذكر الموجودة في اليونان وآسيا ويهودا ومصر والجزيرة العربية ودول أجنبية أخرى) ١٥٥٣
- أوجيريوس جيزلينيوس بوسبيكيوس: (رحلة القسطنطينية وأماسيان) ١٥٨١
- آدم أوليريوس: (وصف الرحلة إلى موسكوفيا، تتاريا وبلاد فارس، صدر بمناسبة سفارة أرسلها دوق هولشتاين إلى دوق موسكوفيا الأكبر وملك بلاد فارس من عام ١٦٣٣ حتى عام ١٦٣٩...) كتبها عام ١٦٥٦
- غيوم جوزيف جريلوت(*): (رحلة إلى القسطنطينية) ١٦٨٠
- جون شاردان: (يوميات رحلة الفارس شاردان في بلاد فارس والهند الشرقية البحر الأسود وعبر كولخيس) ١٦٨٦
- فرانسوا بيدو دو سان أولون(*): راهن الأمبراطورية المغربية ١٦٩٤

د) ترجمات القرآن التي عاد إليها رولان:

- ترجمة روبرت كيتون، وهرمان الكارينثي (أو الدلماتي) في القرن الثاني عشر: (شريعة محمد النبي الزائف) والتي نشرها تيودور بيبلياندر (في ١٥٤٣-١٥٥٠)
- ترجمة دو رييه: (قرآن محمد مترجم من العربية إلى الفرنسية من قبل دو رييه...) ١٦٤٧
- لويس مراتشي (مراكشي)(*):
- (مقدمة لدحض القرآن) ١٦٩١
- (دحض القرآن) ١٦٩٨

سيتبين لاحقا من هذا البحث أن أغلب الكتابات التي عاد إليها رولان في المسائل التي همت فهم النصوص القرآنية وتأويلها، كانت منتمية للقرن السابع عشر، بما فيها تلك المعاصرة له، أما الكتابات

المنتمية للقرون الوسطى والمرحلة المبكرة لعصر النهضة فقد كانت قليلة الحضور.

ثالثًا: فهم النص القرآني وعائق الترجمة

جمعنا في هذا القسم عشر مسائل تناقش سوء فهم العديد من الكُتاب المسيحيين للعديد من النصوص القرآنية؛ وهو سوء فهم ناجم – في الغالب– عن سوء الترجمة؛ الشيء الذي دفع رولان إلى تقديم ترجمة بديلة لمعاني النصوص القرآنية مثار سوء الفهم. وفيما يلي عرض لهذه المسائل:

* * *

المسألة (٢): هل حقا يعتمد المحمديون هذا المبدأ: كل امرئ يمكن أن ينجو في دينه بشرط أن يعيش خَيّـرًا؟[٣٦]. تناقش هذه المسألة فهم الآية (٦٢) من سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. وكذلك الآية ٦٩ من سورة المائدة(*). ذكر رولان أن العديد من الكُتاب المسيحيين قد اتهموا المحمديين بأنهم يؤمنون بإمكان نجاة وخلاص كل امرئ في دينه شرط أن يعيش خَيّراً؛ وهنا يكمن التناقض – في نظرهم – بين هذا التساهل (اللامبالاة) في أمر الدين، وبين التشريع المحمدي، الذي وضعه محمد للخلاص، والذي يقسو فيه على اليهود والمسيحيين. والقائلون بهذه التهمة كثيرون، منهم: الكاردينال نقولاس الكوزي في (القرآن المفحوص)، ويوهانس هورنبيك في (مجموع الخلافات في الدين)، وجيسبيرتوس فوتيوس في (مناقشات لاهوتية مختارة)، وجون سلدنوس في (من التشريع الطبيعي والأممي حسب تعليم اليهود)، وجورجيوس هورنيوس في (التاريخ الكنسي)، وفيجنييه(*)، وأرتوس توماس في (انتصار الصليب)، الذي عد هذا التناقض الخطأ السادس والأربعين من الأخطاء التي أحصاها لمحمد، وهو التساهل واللامبالاة بالدين، بشرط أن نحيا حياة خيّرة. ثم الكاردينال بيلارمن في مناظراته، الذي يقول إن القرآن يخبرنا في سورة البقرة (يقصد الآية ٦٢)، أن كل امرئ يمكن أن ينجو في دينه، بشرط أن يحترم (ويراعي) جميع الشرائع، سواء كانت يهودية، أو مسيحية، أو تركية [إسلامية]. ووالتر رالي في ماجريته، الذي يشير إلى أن التجاوز الأخير لمحمد هو اللامبالاة بالأديان. وذكر كل من توماس اليسوعي في (اهتداء الأمم)، ومؤلف (الحجة الثانية ضد الدجال)، أن محمدًا يصرّح في سورة البقرة (الآية ٦٢) أن اليهود والمسيحيين سينجون (يُخلصون).

ويذكر رولان أن هذه الآراء المذكورة إيجابيةٌ جدًا، إلا أن هؤلاء الكتاب لا يعرفون اللغة العربية، علاوة على أنهم ينقلون عن بعضهم البعض، ويستثني جوزيف دو لابروس في (القاموس الفارسي)، الذي يعرف العربية، ومع ذلك قال هو الآخر إن القرآن يقول في الآية (٦٢) من سورة البقرة: إن كل إنسان

(36)la Religion des Mahométans (Eclaircissemens), pp: 70 a 84.

(*) تقول الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(*) Vignier ??

يمكـن أن ينجو في دينه؛ حيث يعقب رولان أن هذا الكاتب لم يفهم الآية التي كانت واضحة.

ينتقل رولان بعد هذا إلى استعراض ترجمة بديلة لمعاني الآيتين: (٦٢) من سورة البقرة، و(٦٩) من سـورة المائدة، حيث نفى أن يكون هناك تناقض. وقال إن محمدًا أراد أن يقول شيئين:

• إن جميع من سـيُقبل على العمل الصالح من قوم محمد بالإيمان بالله ويوم الحساب كما يأمر دينهم، ينالون الأجر من عند ربهم.

• إن طريق النجاة والرجاء فيه مفتوح أمام الطوائف الأخرى؛ بمن فيهم كفار قريش، بشرط الإيمان بالله والعمـل الصالـح، وهذا يعني دخولهـم في عقيدة الإسلام التي تتضمن هذين الأمرين العامين. أما إذا ظلوا يهودًا ومسـيحيين أو أمَميـن، فإنهم (بذلك) يستمرون على الكفر والشرك، ويبقون بعيدين عن النجاة، كما تصـرح بذلك الآيات الأولى من سـورة الكهـف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنـزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا.... قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَـدِيداً مِن لَّدُنْـهُ .... وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً ..... إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾ (الكهف: ١-٦). ويؤيد هذا أيضا ما ورد في سورة التغابن، حيث يستعرض رولان ترجمة معاني الآيتين التاسـعة والعاشرة في قوله تعالى:﴿..وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِيـنَ فِيهَا أَبَداً ذَلِـكَ الْفَوْزُ الْعَظِيـمُ{٩} وَالَّذِينَ كَفَـرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِـكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ...{١٠} وهذا يتعارض - حسب رولان - مع ما ورد في الآية (٦٢) من سورة البقرة، والآية (٦٩) من سـورة المائدة، بخصوص التسامح مع اليهود والنصارى.

إن من يؤمن حقًا - حسب فهم رولان للآية - هو الذي يؤمن بالديانة المحمدية، ويمارس الشـعائر؛ فالإيمـان هنا هو اعتناق الإسـلام؛ ذلـك أن الإيمان باللـه على الطريقـة المحمدية ليس مجـرد إيمان بوجود الله، بل الإيمـان به كما يصفه المحمديون، وليس إيمان اليهود والمسيحيين؛ لأنَّ محمّدًا - دائمًا في نظر رولان - يقسـو على اليهود والمسـيحيين ويجعل مصيرهم النار، كما تشـير الآية (١٢١) من سورة البقرة، التي استعرض رولان ترجمة معانيها في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون﴾، والآية (٨٥) من سورة آل عمران، التي اسـتعرض رولان ترجمـة معانيها كذلـك في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْـلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

ويتسـاءل رولان عـن هذا التناقـض بين ما ورد في الآية (٦٢) من سورة البقرة، وما ورد في الآيتين (١٢١) مـن سـورة البقـرة، و(٨٥) من سـورة آل عمران؛ حيث يتم لعن غير المسلمين، وهو التناقض الـذي أقر به ابراهام هينكلمان أيضا في (القرآن أو الشريعة الإسلامية).

غيـر أن رولان قـد اعتبر - في معرض توضيحه - أنه لا تناقض، وأن جهل الكُتاب باللغة العربية هو الذي جعلهـم يتهمون محمدا بالتناقض والاحتيال. ثـم يضيف إلى هذا معطى آخر ينفي التناقض عن محمد في هذا الموضوع، ويؤكد - في نفس الوقت- الفهم الذي ذهب إليه سـابقًا، وهو الحديث النبوي

الذي يقول إن الأمة ستنقسم إلى أكثر من سبعين فرقة، ستنجو منها واحدة[٣٧] .

ويتساءل رولان: هل من المعقول أن محمّدًا أراد أن يلعن (٧٢) فرقة محمّديّة لينقذ واحدة فقط، في الوقت الذي فتح فيه باب الجنة أمام اليهود والمسيحيين والعرب؟، وهل من المعقول أن محمدًا أراد أن يجعل نفسه عرضة للاستهزاء حينما شدد من جهة على ضرورة قبول شرعه الجديد، ومن جهة أخرى أعلن للجميع أن جميع الأديان جيّدة، طالما أننا نحيا حياة خَيّرة ؟. وقد ذكر رولان في الأخير أن ترجمة الآية (٦٢) من سورة البقرة، كانت ترجمةً سيّئةً، التي إذا ما قُرئَت حرفيًّا، لا تقول شيئا فيما يتعلق بنظام محمد.

المسألة (٨): هل يعتقدون أن الله نفسه يصلي على محمد؟[٣٨]

تناقش هذه المسألة الفهم الخاطئ للآية (٥٦) من سورة الأحزاب في قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾. ذكر رولان أن العديد من الكُتاب المسيحيين قد ألقوا باللائمة على المحمديين [المسلمين] لإيمانهم أن الله نفسه يصلي لأجل محمد، مثل الكاردينال نقولاس الكوزي في (القرآن المفحوص)، والكاردينال روبرت بيلارمن في مناظراته، ومؤلف (الحجة الثانية ضد الدجال)، ومارتن الإتيمولوجي (ماتياس مارتينوس) في (المعجم التأثيلي)، وإبراهيم الحاقلاني في (مختصر مقاصد حكمة فلاسفة العرب)، الذي ترجم هذا المفهوم الجاري بين المحمديين ب(ﷺ)(*)، عوض أن يترجمها حسب رولان ب(بركات الله عليهم).

ويُرجع رولان هذا التخبط إلى المعرفة القليلة لهؤلاء الكُتاب باللغة العربية، وإلى الترجمة اللاتينية الفاسدة للقرآن، التي قام بها روبرت كيتون، وهرمان الكارينثي (أو الدلماتي)، والتي نشرها بيبلياندر في عام (١٥٥٠)، حيث تمت ترجمة النص كما يلي: «إن الله والملائكة يصلون لأجل محمد بالتوفيق»، ويتساءل رولان (مستنكرا)) ولكن لمن يصلي الله؟)، ويقترح الترجمة التالية، معتبرًا أنَّها الأفضل: «من المؤكد أن الله والملائكة يدعمون محمدا: إنه يتمتع بلطف واحد وصلوات الآخرين»[٣٩].

ويشير رولان إلى أن المترجم دو رييه، قد لاحظ الخطأ في ترجمته الفرنسية، حيث وضع في الهامش عبارة (باركوا النبي)، والتي كان عليه وضعها في النص كما طالب بذلك رولان، لأن هذا يتوافق مع طبيعة الأشياء، وعبقرية اللغة العربية،

---

(٣٧) يقول الحديث: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة"، قيل من هي يا رسول الله ؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي، وفي بعض الروايات: هي الجماعة» (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.)

(38)la Religion des Mahométans (Eclaircissemens), pp: 115 a 118.

(*) كما في الآية ٤٣ من سورة الأحزاب:﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾.

(39) la Religion des Mahométans (Eclaircissemens), p: 117.

وأسلوب القرآن؛ حيث أن الكلمة نفسها تعني البركة عند الحديث عن الله، وتعني الصلاة عند الحديث عن الرجال (المؤمنون) والملائكة.

* * *

المسألة (١٠): إلى أيِّ جهةٍ يولي المحمديّون وجوهَهُم في الصلاة؟ (٤٠)

تناقش هذه المسألة الفهم الخاطئ للآية (١٤٤) من سورة البقرة: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، إلى جانب الآيتين (١٤٩) و (١٥٠) من نفس السورة. ذكر رولان أن العديد من الكتّاب المسيحيين قالوا إن المحمديين يتجهون جنوبًا في صلاتهم؛ منهم أوتيميوس زيجابين في (الدرع العقائدي)، ووالتر رالي في ماجريته، وأرتوس توماس في (انتصار الصليب)، غير أن رولان يعترض على قولهم، ويؤكد أن النبيَّ محمدًا أمر أتباعه بالتوجه نحو معبد الكعبة، وهو ما يسميه المحمديون القبلة، كما في سورة البقرة.

وقد توقف رولان عند ما قاله توماس برادفاردينوس في (في سبيل الرب)، الذي اتهم المحمديين بعبادة الشيطان، حيث ادعى أن محمدًا قال إن الشمس تشرق بين قرني الشيطان، وهذا ما يفسر في نظره توجه المحمديين شرقا. ولعل هذا الكاتب قد خلط بين ذو القرنين – الذي قيل إنه وصل إلى قرني الشمس(*)، وهما الشرق والغرب – وبين قرني الشيطان؛ والآيتان موضوع الخلط هما الآية (٨٦) من سورة الكهف في قوله تعالى:﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾، والآية (٩٠) من نفس السورة:﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً﴾. وقد نفى رولان أن تضم سورة الكهف المعنى الذي ذهب إليه برادفاردينوس، ويتساءل مستنكرًا:«من قال له إن جميع المحمديين يتجهون شرقا؟»، حيث يذكر رولان أن مكة هي وجهة المحمديين جميعًا، لكن كل حسب موقعه، فهي مثلا في شرق المغاربة والمصريين، وفي غرب الفرس والمغول.

المسألة (١٣): هل يوجد ملائكة إناث حسب المحمديين؟ (٤١)

تناقش هذه المسألة الفهم الخاطئ من قبل بعض الكتاب المسيحيين لعدة آيات من سورة الصافات من الآية (١٤٩) إلى الآية (١٦٠) تتعلق بالملائكة. ذكر رولان أن أوتيميوس زيجابين في (الدرع العقائدي)، قد قال إن المحمديين يجعلون الملائكة إناثًا، وينسب هذا المقطع للقرآن:« اختار الله أبناءً واتخذ زوجات من الملائكة» (٤٢) . غير أن رولان يتهم هذا الكاتب بالضعف في اللغة العربية، لأنه عطل النص القرآني، الذي يبقى واضحا في لغته، وواضحا أيضا في ترجمة دو رييه؛ فقد حارب النبي

(40)Ibid, pp: 120 a 124.

(*)ينظر: (أبو عبد الله فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب من القرآن الكريم (التفسير الكبير). دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨١، ج ٢١، ص: ١٦٤، ١٦٥).

(41) la Religion des Mahométans (Eclair-cissemens), pp: 134 a 138.

(42) Ibid, p: 134.

محمد اعتقاد العرب القدماء في كون الملائكة إناثا، حيث أورد رولان ترجمة معاني الآيات (١٤٩ - ١٦٠) من سورة الصافات:﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ{١٤٩} أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ{١٥٠} أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ{١٥١} وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ{١٥٢} أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ{١٥٣} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ{١٥٤} أَفَلَا تَذَكَّرُونَ{١٥٥} ..... سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ{١٥٩} إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ{١٦٠}﴾ ويتساءل رولان بعد أن بين زيف هذا الاتهام:(ما الاسم الذي سنعطيه الآن لهذا النوع من الافتراء، الذي يستخدم كل الأسلحة ضد العدو...)[٤٣] .

المسألة (١٥): هل الشياطين لا تسمع حسب المحمديين؟[٤٤]

تناقش هذه المسألة الفهم الخاطئ لآيات من سورة الشعراء:﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ{٢١٠} وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ{٢١١} إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ{٢١٢} ﴾ ذكر رولان أن البعض قد اتهم المحمديين بكونهم يعتقدون أن الشياطين ليس لهم آذان، ولا يستطيعون السمع؛ وبالتالي لا يمكن أن يكونوا هم مؤلفي القرآن. وقد تبنى هذا الافتراء روبرت كيتون في ترجمته، عارضًا إيّاه بطريقة ساخرة.

ويتساءل رولان مستنكرًا ومعترضًا على روبرت كيتون: كيف له أن يقول من جهة إن محمدًا قد ألغى سمع الشياطين، في حين أنه ترجم في مكان آخر[*]: «إن العديد من الجن السيئين سمعوا قراءة القرآن وآمنوا به»[*]، بل ويتهمه بعدم الإنصاف، وبعدم فهم منطق القرآن في المسألة، هذا المنطق الذي عرضه المترجم عرضًا فاسدًا.

ثم يعرض رولان ترجمةً بديلةً لمعاني الآيات (٢١٠ - ٢١٢) من سورة الشعراء، ويبين أن الشياطين لا يستطيعون تأليف القرآن؛ لأن ذلك من جهة لا يخدم غرضهم، وهو إفساد العالم وإبعاده عن الله، ومن جهة أخرى بسبب طبيعتهم الشريرة والكريهة؛ لأنهم من العصاة. ويشير رولان في الأخير إلى أن المترجم دو رييه قد وقع في ترجمته الفرنسية في نفس ما وقع فيه روبرت كيتون.

المسألة (١٦): هل المحمديون أوريجانيون[*][٤٥]

تناقش هذه المسألة الفهم الخاطئ للآيتين الأوليين من سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً{١} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً{٢}﴾، حيث يتم الحديث عن إيمان الجن بعد سماع القرآن، وبما أن الكتاب المسيحيين لا يميزون بين الجن والشياطين، فقد اتهموا المسلمين - انطلاقا من الفهم الخاطئ للآيتين - بكونهم يعتقدون أن الشياطين غير مخلدين في النار، وهي الفكرة التي قال بها رجل دين من القرن

(43) Ibid, p: 136.

(44) Ibid, pp: 144 a 146.

(*) يقصد سورة الجن (ينظر ما قيل في المسألة ١٢).

(*) المقصود هو الآيتان الأوليان من سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً{١} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً{٢}﴾

(*) نسبة إلى أوريجانوس (Origène (١٨٥-٢٥٣))، رجل دين مسيحي من القرن الثالث الميلادي.

(45)la Religion des Mahométans (Eclaircissemens), pp: 147 a 153.

الثالث الميلادي، يدعى أريجانوس؛ وبالتالي فإعادة صياغة المسألة هو كما يلي: هل قال محمد بعدم خلود الشياطين في النار كما قال بذلك أريجانوس قبله؟

ذكر رولان أن أريجانوس قال إن الأشرار والشياطين غير مخلدين في النار، بل سيتم إخراجهم بعد قضائهم وقتًا معيّنًا، وقد أتهم محمدٌ من قبل العديد من الكتاب المسيحيين بالقول بنفس الفكرة؛ منهم توماس اليسوعي في (اهتداء الأمم)، ومؤلف كتاب (الحجة الثانية ضد الدجال)، هذا الأخير الذي أنكر على محمد قوله إن الشياطين سيتم تخليصها يومًا، وهو ما يجعل محمدًا- في نظره - أوريجانوسيا. ويستدل هذا الكاتب بترجمة معاني أوائل سورة الجن:« إن حشدا كبيرا من الشياطين، بعد أن سمعوا هذه الأشياء [القرآن] كانوا سعداء معجبين، وفرحين فرحًا عظيمًا، والذين آمنوا منهم نالوا الخلاص» [٤٦]، ويتساءل هذا الكاتب باستنكار: كيف لأيٍّ كان أن يُخَلَّص وينجو إذا لم يؤمن أولاً، ويقوم بأعمال صالحة تصالحه مع الله، وتكون سببًا في خلاصه؟

يرد رولان بأنه سبق أن دحض هذا الاتهام(*) عندما بين أن سورة الجن تخص الجن ولا تخص الشياطين، وهما مختلفان حسب اللاهوت المحمدي؛ فالقرآن يؤكد أن الشياطين مخلدون في العذاب، وأن زعيمهم هو إبليس اليائس، أما بالنسبة إلى الجن الشرير، فسيخلدون في العذاب مثلهم مثل الأشرار من البشر. إذن فخلود الشياطين والجن الشرير والكفار غير المحمديين في النار أمر واضح في اللاهوت المحمدي.

ثم يورد رولان ترجمة لمعاني العديد من المقاطع القرآنية عن عذاب الملعونين، كالمقطع التالي من سورة المدثر: ﴿... قُمْ فَأَنذِرْ{٢} وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ{٣} ... وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ{٥} وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ{٦} وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ{٧} فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ{٨} فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ{٩} عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ{١٠} ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً{١١} وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُوداً{١٢} وَبَنِينَ شُهُوداً{١٣} وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً{١٤} ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ{١٥} كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً{١٦} سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً{١٧} إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ{١٨} فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ{١٩} ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ{٢٠} ثُمَّ نَظَرَ{٢١} ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ{٢٢} ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ{٢٣} فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ{٢٤} إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ{٢٥} سَأُصْلِيهِ سَقَرَ{٢٦} ... عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ{٣٠} .... وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ{٣٣} وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ{٣٤} إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ{٣٥} نَذِيراً لِّلْبَشَرِ{٣٦} ... إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ{٣٩} فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ{٤٠} عَنِ الْمُجْرِمِينَ{٤١} مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ{٤٢} قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ{٤٣} وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ{٤٤} وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ{٤٥} وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ{٤٦} حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ{٤٧} فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ{٤٨}﴾

والمقطع الثاني من سورة غافر: { قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ{١١} ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ{١٢}} أما المقطع الأخير فمن سورة الزخرف: {الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ{٦٩} ادْخُلُوا

(46)Ibid, p: 148.

(*) ينظر المسألة ١٢.

الْجَنَّـةَ أَنتُـمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَـرُونَ{٧٠} ... وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ{٧١} وَتِلْـكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{٧٢} ... إِنَّ الْمُجْرِمِيـنَ فِي عَذَابِ جَهَنَّـمَ خَالِدُونَ{٧٤} لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ{٧٥} ... وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ{٧٧}﴾

ويعلـق رولان فـي الأخيـر علـى هـذه المقاطع القرآنيـة بالقول: «فيما يبدو لي، فهذه ليسـت لغة لتابع من أتباع أوريجانوس، هذا إذا كان صحيحا أن أوريجانوس كان أوريجانوسيا» [٤٧].

المسـألة (١٧): ما جنة محمد؟ وما الحبور الأكبر عند المحمديين؟ [٤٨]

تناقش هذه المسألة ما ورد في القرآن من عرض للنعيم الحسّـيّ فـي الجنة[*]؛ حيث ذكـر رولان أن العديد من الكُتاب المسيحيين قد اتهموا النبي محمدًا بالحسـيّة في الجنـة التي تحدث عنها فـي القرآن (حدائق، أنهار، حوريات جميلات، شباب خالد...)؛ وهـؤلاء الكُتاب هم توماس اليسـوعي فـي (اهتداء الأمم)، الذي قال إن محمدا هو سرنته[*] جديد، أقام السـعادة العميمة على الملذات الحسـية. وريشار لوموان في (دحض الديانة المحمدية)، الذي قال إن القرآن والمذهب المحمدي لا يقودان إلا إلى شـهوة الفـرج والبطـن. وبطرس المحتـرم في (مختصر الديانـة المحمدية)، الذي قـال إن محمدًا عوض أن يصـور لنا الجنة مـن خلال الحديث عـن الملائكة والمنعمين، وعن التأمل في الله وفي كمالاته، والتمتع بهذا الخير العميم، حيث لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر مثله، نجده بالمقابل يعرض الجنـة عرضًا حسـيًّا (عرض لحـم ودم). وجيروم سافونارول في (تعليقات على المذهب المحمدي)، الذي قال إن محمدًا لا يتصور إلا الأشـياء الأرضية، وأنه لا يملك أدنى فكرة عن السعادة الحقيقية، حيث لا يَعد إلا بشهوةٍ بهيميةٍ ترتبط بالجسد والبطن، هي أنسب لسعادة البهائم.

ويـرد رولان علـى مـن زعـم أن جنـة محمد لا تعرف إلا الملذات الحسـية، بأن محمدا قد ميز بين كرامة الروح وكرامة الجسـد؛ حيث اسـتغل نقطة ضعف العـرب - والمتمثلة في حب اللذة - سـعيا لجذبهم إلى التوحيد وبقيـة مبادئه؛ كما أن للروح سعادتها التي تفوق سعادة الجسد، وهنا يستشهد رولان بالكاردينـال نقـولاس الكوزي فـي (القرآن المفحوص)، الذي أنصف - رغم عدائه للمحمديين- حينما قال، إن قمة السعادة بحسب محمد هي التأمل في وجه الله، وهي أعظم المسـرات، التي ستطغى على غيرها، بما فيها تلك التي نتشارك مع البهائم.

كمـا اسـتند رولان إلـى مـا أورده بوكـوك فـي (ملاحظات متنوعة فيلولوجيـة – بيبلية) من كلام

---

(47)la Religion des Mahométans (Eclaircissemens), p: 153.

(48) Ibid, pp: 153 a 165.

(*) كالحديـث عن الحوريات:(وحـور عين ٢٢) كأمثال اللؤلؤ المكنون ٢٣))، والبسـاتين والحدائـق:(إن للمتقين مفازا٣١) حدائق وأعنابـا ٣٢))، والأنهار والزينة:(أولئك لهم جنـات عدن تجري مـن تحتهم الأنهـار يحلون فيها من أسـاور من ذهب ويلبسـون ثيابا خضرا من سـندس وإسـتبرق متكئين فيهـا على الأرائك نعم الثواب وحسـنت مرتفقا ٣١))...

(*) نبات عشبي مفترس

منسـوب إلى النبي محمـد، والذي مفـاده أن أدنى درجات الجنة هي أن يمتلك المُنَعَّمُ النساء والخيرات والحدائق والعبيد...، وبالمقابل فأعلى درجات الجنة هـي أن يكون المُنَعَّمُ بالقرب مـن الله، والتأمل في وجهه صباح مسـاء. إذن فمن الخطأ القول حسب رولان إن أعظم النعيم في الجنة هو التمتع بالأشياء الحسية.

وذكـر رولان رأي تومـاس هايـد في (ملاحظاته عن ليتورجيا الأتراك)، الذي قال إن الملذات الحسية في الجنة تعتبر مجازيـة من قبل أكثر المحمديين عقلانية.

كمـا استشـهد رولان كذلـك بـرأي هربلوت في (المكتبة الشرقية)، الذي - بعد أن قال إن المحمديين يجعلون أعظم المسـرات هـي لقاء اللـه، والتمتع بإشـراقة وجهـه - اعتبر أنه من غيـر الصحيح أن المحمديين لا يعرفون مسرات أخرى في الآخرة، غير التمتع بالملذات الحسية، كما اتهمهم أغلب من عادى دينهم. إذن، فقد سعى رولان من خلال ما ساقه من آراء إلى بيان تهافت موقف الذين اتهموا المحمديين بالحسيّة.

المسـألة (١٨): هل سيتم إنقاذ النساء [من النار] حسب المحمديين؟ (٤٩)

ذكر رولان أن العديد من الكتاب المسـيحيين قد اتهم المحمديين بأن نساءهم لا تدخل الجنة، وبدلاً منهن سيستمتع الرجال بعذارى صغيرات وجميلات ونظيفات ورشـيقات. من هؤلاء الكتـاب هورنبيك فـي (مجمـوع الخلافات فـي الديـن)، وجريلوت فـي (رحلة إلى القسـطنطينية)، الذي اسـتنتج أن المحمديين باسـتبعادهم حضور النسـاء للصلاة مهم في المعبد [المسـجد]، فإنهم لا يريدون بذلك أن يُدفـن معهم في نفس القبر، والأمر المؤكد - في نظره دائما - أنهم يعتقدون أنهن لن يرافقنهم في الجنة، وأنهم سيجدون نساءً أخريات أفضل. ويعلق الكاتـب أن تعبير جريلوت كان ملتبسًـا، فقوله إن النسـاء لن يرافقن أزواجهن في الجنة مفتوح على معنيين: الأول أنهن لن يدخلن الجنة مطلقًا. والثاني: سيدخلنها، ولكن سَيَكُن في مكان منفصل.

ويـورد رولان رأي ريكوت فـي (التاريخ الراهن للإمبراطورية العثمانية)، الذي اسـتنتج أن النساء المحمديـات بمـا أنهن نشـأن منعـزلات، ولا يرين الرجال إلا نادرًا، ولا يملكن فضيلة أخلاقية تقودهن إلى الحياء والأمانة، ولا يملكن مبادئ دينية تجعلهن يأملن في الحصول على أجر على أعمالهن الصالحة فـي الآخرة، أو عقاب على أعمالهن السـيئة، فإنهن لهذه الأسباب يعتبرن النساء الأكثر فسقا في العالم كما يقال.

وقد استند رولان في رده هذا الاتهام على صديقه هنـري سـيك، الـذي كان مندهشـا هـو الآخر من هذه التهمة المنسـوبة إلى محمـد، حيث ميز بهذا الخصوص بين ثلاثة مقاطـع قرآنية، تثبت دخول النسـاء الجنة: الأول في الآية (٤٠) من سورة غافر: ﴿... وَمَـنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. والثاني في الآية (٢٣) من سـورة الرعـد: ﴿جَنَّاتُ عَـدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَـحَ مِنْ آبَائِهِـمْ وَأَزْوَاجِهِمْ

(49) la Religion des Mahométans (Eclaircissemens), pp: ١٦٦ a ١٧٢.

وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾. والثالث في الآية (٩٧) من سورة النحل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾. وتمت إضافة مقطعين آخرين: الأول الآية (٥) من سورة الفتح: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً﴾. والثاني في الآية (١٢) من سورة الحديد: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ويعزز رولان دحضه للتهمة برأي جون شاردان في (يوميات رحلة الفارس شاردان في بلاد فارس والهند الشرقية البحر الأسود وعبر كولخيس)، الذي قال إن النساء [المسلمات] لا يُستبعدن من الجنة، بل يدخُلنَها ولكن لا يَكُن في نفس المكان مع الرجال – الذين يكونون مع نساء سماويات [الحوريات] – وأنهن يستمتعن مثل الرجال بكل أنواع النعيم. ويختم رولان بالإشارة إلى بيير بايل في مقالته عن محمد الواردة في (القاموس التاريخي والنقدي)، الذي لا يؤيد هذا الرأي، وهو ما جعل رولان يدعوه إلى إعادة صياغة هذه المقالة.

مسألة (٢٣): هل صارت مريم العذراء حاملا من أكلها للتمر حسب المحمديين؟ (٥٠)

تناقش هذه المسألة اتهامًا نجم عن خلط بين مقطعين قرآنيين؛ الأول من سورة آل عمران (الآية ٣٧)، والثاني من سورة مريم (الآيات من ٢٣ إلى ٢٦).

اعتبر رولان أن هذا الاتهام – الذي يقول إن مريم صارت حاملاً بتناولها لتمر النخلة – اتهامٌ سخيفٌ، قال به كاتب بيزنطي، يدعى بارتيلمي الرهوي في (مختلفات مقدسة). ويرد رولان على هذا الاتهام بكون القرآن خال من مثل هذا الكلام، حيث يستعرض ترجمة معاني الآيات التالية من سورة مريم: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ... فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً{١٧} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً{١٨} قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً{١٩} قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ... قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً{٢١} فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً{٢٢} فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ... فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً{٢٤} وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً{٢٥} فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً ...{٢٦}﴾. ويذكر رولان أنه في سورة آل عمران (الآية ٣٧)(*)، يتم الحديث عن فواكه وأطعمة مختلفة، يجدها زكرياء عند مريم، قالت إنها تلقتها من الله، ولكن لا يوجد ذكر للتمور، ولا لأشجار النخيل، ولا أن حملا حدث بسبب هذا الطعام. بل نجد في القرآن أن هذا الحمل، وهذه الولادة المعجزة، كانت بقدرة الله وعمل جبريل؛ لهذا يسمى يسوع المسيح كلمة الله، باعتباره نتاجًا لكلمته وأمره (أن يقول للشيء كن

(50) Ibid, pp: ١٨٩ a ١٩٣.

(*) تقول الآية:(... كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب).

فيكون). ويقر رولان أن هذه هي عقيدة المحمديين، ويحيل على كتّاب آخرين يؤكدون كلامه، كليفينوس وارنيروس في (خلاصة تاريخية لما قاله المسلمون بشأن المسيح)، وجون هنري هوتينغر في (التاريخ الشرقي). ثم ينتقل رولان لمحاولة تفسير منشأ هذا الاتهام، ويتساءل: ما علاقة التمور بحمل معجز؟ حيث اعتمد رولان في حله للمسألة على مقارنة المقطعين القرآنيين التاليين:

الأول في الآية (٣٧) من سورة آل عمران: ﴿...كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ والمقطع الثاني من سورة مريم: ﴿فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً{٢٣} فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً{٢٤} وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً{٢٥} فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً... {٢٦}﴾ (الآيات من ٢٣ إلى ٢٦).

ويرى رولان أنه من الواضح بعد مقارنة المقطعين، أنه تم توهم أن الأطعمة (الرزق) المشار إليها في سورة آل عمران كانت تمورًا، وأنها يمكن أن تكون معجزة بالنسبة إلى الحمل، كما ستصبح قريبًا بالنسبة إلى الولادة في سورة مريم. ويتبرأ رولان في الأخير من هذا الاتهام، معتبرًا إياه وهمًا، ومركبًا هزليًا غريبًا.

المسألة (٢٧): هل حقًا خلط محمد بين فرعون الذي ربى موسى، وفرعون الذي اضطهد شعب الله الأخير، والذي غرق في البحر الأحمر؟ [٥١]

تناقش هذه المسألة سوء فهم الآية (١٨) من سورة الشعراء: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ{١٨}﴾، ذكر رولان أن العديد من الكُتاب المسيحيين قد اتهم محمدا بالخلط بين فرعون الذي ربى موسى، وفرعون الذي اضطهد اليهود، وغرق في البحر، فجعلهما شخصًا واحدًا. ومن هؤلاء الكتاب الكاردينال نقولاس الكوزي في (القرآن المفحوص)، وميشيل بوديه في (التاريخ العام لديانة الأتراك).

ثم ينتقل رولان ليوضح أن فرعون [الغريق] لم يقل في الآية إنه هو الذي ربى موسى وأطعمه في بيته، وهو ما اتهم محمد بقوله، بل التأويل الصحيح للآية في نظر رولان هو: «ألست أنت موسى، الذي أنقذته إحدى أميراتنا من الماء، والذي ربيناه تحت رعايتنا ثم هرب منا، هل جئت لتفتن بلدًا، يجب أن تعتبره وطنك، وتنتفض ضد أمةٍ كانت معطاءةً لك» [٥٢]. إذن فرولان لا يرى - من خلال هذا التأويل الذي قدمه - أن الآية تخلط بين فرعون الذي ربى موسى، وفرعون الذي اضطهد اليهود وغرق.

المسألة (٢٩): هل تناقض محمد مع نفسه في قرآنه، فقال مرة إنه لا يعرف القراءة ومرة إنه يعرفها؟ [٥٣]

تتناول هذه المسألة سوء فهم الآية (١٩) من سورة محمد ﴿... وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾؛ حيث ترجمت هذه الآية ترجمة خاطئة: «الله يعلم ما تفعل وما تقرأ»، الشيء الذي جعل البعض يفهم

(51)la Religion des Mahométans (Eclaircissemens), pp: 208 a 211.

(52)Ibid, pp: 209, 210.

(53) Ibid, pp: 215, 216.

أن النبي – الذي يقدم نفسه في القرآن على أنه لا يعرف القراءة – يناقض نفسه. وقد عد رولان تهمة التناقض هذه جهلاً صريحًا، مردهُ إلى هذه الترجمة الخاطئة، لأن الآية المعنية هنا (الآية ١٩ من سورة محمد)، لا تتكلم عن القراءة، بل فيها مخاطبة لأتباع النبي، بأن «الله يعلم كل شؤونكم، وكل ما تأتونه، سواء في نشاطكم، أو في استراحتكم» [٥٤]. وقد دعا رولان في الأخير إلى العودة إلى الترجمة والتدقيق فيها.

ثالثا: فهم النص القرآني وتأويله مع استحضار الاختلاف

تناقش مسائل هذا القسم سوءَ فهم العديد من الكتاب المسيحيين للعديد من النصوص القرآنية، نظرًا لسوء ترجمتها في الغالب، غير أنها مسائل اختلف فيها أهل التفسير من المسلمين أيضًا، وهو ما سنستعرضه مركزين على تفسيرين: تفسير محمد بن جرير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، وتفسير فخر الدين الرازي المسمى (مفاتيح الغيب من القرآن الكريم (التفسير الكبير))؛ الأول منهما يمثل مدرسة التفسير بالمأثور، والثاني يمثل مدرسة التفسير بالرأي.

والذي يبدو أن رولان – وكذا العديد من الكُتاب المسيحيين – قد كان على علم باختلاف المفسرين المسلمين في هذه النصوص؛ وهو ما أشار إليه في العديد من هذه المسائل، لكن دون تفصيل في هذا الاختلاف، ولا ذكر لممثليه، بل كانت الإشارة إليه مجملة، وفي مسائل أخرى كان يحجم عن هذه الإشارة.

(54)Ibid, p: 216.

المسألة (١٢): هل في مبادئ المحمديين أن الشياطين هم أولياء لله ولمحمد؟ [٥٥]

تناقش هذه المسألة عدم تمييز معظم الكُتاب المسيحيين بين كلمتين في القرآن: كلمة (الشياطين)، الواردة مثلا في المقطع التالي من سورة الشعراء: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ{٢٢١} تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ{٢٢٢} يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ{٢٢٣}﴾. وكلمة (الجن)، الواردة مثلا في أوائل سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً{١} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً{٢}﴾. ويذكر رولان أن من الكُتاب المسيحيين كفيليبو جوادنولي – في (دفاع عن الدين المسيحي) – من يتهم المحمديين بكونهم يعتقدون بولاية (مصالحة، قرابة) الشياطين لله ولمحمد، حيث يعتبر جودانولي أن القرآن كتاب متناقض من خلال ما ذكره عن الشياطين، فهو تارة يخبر بأنهم كاذبون، وأعداء للبشر، ومعذبون في النار منذ زمن، ويضيف استنادًا إلى ما ورد في سورة الشعراء، أنهم ماكرون، وفاسدون، وأن سيدهم عدو للبشر، يسعى جاهدًا ليقودنا إلى النار، لذا وجبت مواجهته. وتارة أخرى، يقول عنهم القرآن في سورة الشياطين[؟][*]، إنهم آمنوا بالقرآن وأضحوا مخلصين، وأولياء لله وللناس، وسيتم عتقهم، وسينالون يومًا ما الخلاص والمجد. ويستنكر جوادنولي متسائلا: كيف للشياطين الضالين المعذبين أن يتقبل الله إيمانهم

(55)Ibid, pp: 129 a 134.

(*) المقصود هو سورة الجن.

وتوبتهم؟

ويذكـر رولان كاتبًا آخر من القائلين بالتناقض، هو جون أندري مور في (تهافت المذهب المحمدي والقرآن)، الذي كان محمديًّا ثم تحول، والذي يرفض أن يكون الشياطين أولياء لله وللناس ولمحمد. ويقول لمُخَاطبـه:(ألا تفهم أن هذه المصالحة مسـتحيلة، ومخالفة لوصايا الله، الذي رفض الشيطان وحرمه من عفوه إلى الأبد) .[٥٦]

ثم ينتقـل رولان، بعد أن عرض مثالين للقائلين بالتناقـض، إلـى بيان بطـلان هذه التهمـة؛ حيث ذكـر أن سـورة الجن قد تُرجمت خطـأً في معظم الترجمات بسـورة الشـياطين، ويستدل بالمترجم دو رييه في ترجمته الفرنسية، الذي أشار- بعد أن اعتمد هو الآخر الترجمـة الخاطئة - إلى أن العديد من المحمديين يسمون السورة «بسـورة الأرواح»؛ وقـد اعتبـر رولان أنهـا ترجمة أفضـل، إلا أنه كان مـن الواجب على دو رييه بعد أن صحح الخطأ في العنـوان أن يصححه في النص، والاسـتعاضة عن كلمة (الشـياطين) بكلمة (الجـن). ويضيف رولان أن المحمديـن يميـزون في هذا الشـأن بين ثلاثة كائنات: الملائكة؛ وهم صالحون ومنعمون إلى الأبد. والشياطين؛ وهم أشرار حُرموا العفو الإلهي، وأُدخلوا إلى الجحيـم خالدين فيه. وهنـاك الجن، الذين هم وسط بين الملائكة الأشرار(*) والأخيار، وهم نوعان كذلك(*): الجن المخلصون الطائعون لله طمعًا في الخلاص. والجن الخائنون الضالون الهالكون.

إذن فالعرب - حسب رولان- تستخدم ثلاث كلمات للدلالة على هـذه الكائنات الثلاثة، ولا تخلط بينها، بل المترجمون المسيحيون هم من يخلط. ويضيف رولان أنه في سورة الجن، يتعلق الأمر بالجن الذين تُسُـموا باسمهم المخصوص. ويتسـاءل رولان في الأخير مسـتنكرًا: «لماذا يتم تزويـر النص العربي بشـكل غير لائق؟ لماذا يسـتخدم مثل هذا الخداع الفاضح؟ هل هذا جهل؟ هل هذا حقد...» [٥٧] .

ذكر اختلاف المفسرين في المسألة

ذكر الرازي [٥٨] أن هناك اختلافًا في القول بالجن والشياطين، فقيل الشيطان جنس والجن جنس آخر، وقيل الجن منهم أخيار، ومنهم أشرار، والشياطين اسم لأشرار الجن. والجن والشياطين مخلوقون من نار، وهم كالبشر يأكلون ويشـربون. وذكر الرازي كذلك أن أكابر الفلاسفة لم ينكروا القول بالجن، إلا أنهم سموها بالأرواح الأرضية، منها الخيرة، وهم مؤمنو الجن، والشريرة، وهم كفار الجن وشياطينهم[٥٩].

المسألة (١٤): هل يذنب الملائكة الميامين حسب المحمديين؟[٦٠]

---

(56)la Religion des Mahométans (Eclaircisse-mens), p: 131.

(*) يتم الحديث على أن إبليس ملاك شرير في المسألة ١٤.

(*) تقول الآية ١١ من سـورة الجن:(وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا).

(57)la Religion des Mahométans (Eclaircisse-mens), p: 133.

(٥٨) أبو عبد الله فخـر الدين الرازي، مفاتيح الغيب من القرآن الكريم(التفسـير الكبير). دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨١، ج١، صص: ٨٩، ٩٠.

(٥٩) المصدر نُفسه، ج ٣، ص: ٢٢٧.

(60)la Religion des Mahométans (Eclaircisse-mens), pp: 138 a 143.

تناقش هذه المسألة الفهم الخاطئ لرفض إبليسَ السجودَ لآدم، كما في الآية (٦١) من سورة الإسراء: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً{٦١}﴾. إلى جانب آيات أخرى تطرقت لنفس القضية(*).

ذكر رولان أن هناك كُتّابًا مسيحيين قد اتهموا المحمديين بكونهم يعتقدون أن الملائكة تذنب – على أساس أن إبليس ملاك – منهم توماس اليسوعي في (اهتداء الأمم). ويرد رولان على أن هذا مجرد افتراء، ويدعو القارئ إلى قراءة ما كُتب عن عقيدة المحمديين بخصوص الملائكة، فيما ترجمه ضمن القسم الأول من الكتاب، حيث يتم الحديث عنهم باعتبارهم قديسين معصومين مقربين من الله، طائعين له لا يخالفون أمره.

ويعرض رولان ما يُقال من أن إبليس كان ملاكًا صالحًا ومخلصًا لله، ثم عصاه حينما رفض أن يُكرم آدم كما أمره الله. ويرى رولان أن معصية إبليس لله شيء لا علاقة له بالملائكة الأخيار الطائعين المخلصين. يدعو رولان إذن إلى التمييز بين القول إن الملائكة الأخيار يذنبون، وهو قول لم يقل به لا مسيحي ولا محمدي، وبين القول إنه عند ولادة العالم هناك ملاك، هو إبليس، قد أذنب وعصى، حيث لا يستطيع مسيحي ولا محمدي أن يتنصل من هذا القول؛ وإذن، فإن سوء الفهم ناجم عن عدم التمييز بين القولين.

(*) نذكر: سورة الأعراف (الآيتان ١١و١٢)، سورة الحجر (من الآية ٣٠ إلى ٣٣)، سورة ص (من الآية ٧٣ إلى ٧٦)...

ذكر اختلاف المفسرين في مسألة تجنيس إبليس

ذكر الطبري أن أهل التأويل اختلفوا في تصنيف إبليس: هل هو من الملائكة؟ أم من غير الملائكة؟ فهناك رأيٌ يقول إن إبليس كان من حيٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجن [٦١] . بينما يرى رأي آخر أن إبليس ليس من الملائكة، بل هو من الجن، وهو أصل الجن وأبوهم [٦٢] . وذكر الرازي أن هناك اختلافا في تجنيس إبليس على ثلاثة أقوال:

يرى أصحاب القول الأول أن إبليس من الملائكة لوجوه:

١) أن قبيلة من الملائكة تسمى الجن.

٢) أن الجن سموا بهذه التسمية لاستثارهم، والملائكة مستثيرون كذلك، فهم داخلون في الجن.

٣) أن إبليس كان خازن الجنة، ونُسب إليها.

ويرى أصحاب القول الثاني أن إبليس من الجن، الذين هم الشياطين، المخلوقين من نار، وهو أبوهم. أما أصحاب القول الثالث، فيرون أن إبليس كان من الملائكة فمُسِخ وغُير.

ويرى الرازي أن إبليس ليس من الملائكة بدليل أن الآية (٥٠) من سورة الكهف، تثبت له ذرية ونسلا: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي...﴾ بينما الملائكة لا ذرية لهم ولا نسل، لذا فإبليس ليس منهم . [٦٣]

(٦١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، الطبعة الأولى ٢٠٠١، ج١، صص: ٥٣٥ وما يليها.

(٦٢) المصدر نُفسه، ج ١، صص: ٥٣٩، ٥٤٠ وما يليها.

(٦٣) مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، ج ٢١، ص ١٣٧.

المسـألة (٢٠): هل من المؤكد حقا أننا نجعل في القرآن مريم أختا لموسى؟ [٦٤]

تناقش هذه المسـألة الفهم الخاطئ للآية (٢٨) من سورة مريم: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَـوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّـاً﴾، ذكر رولان أن العديد من الكُتاب المسـيحيين قد اتهم محمدًا بالسـقوط فـي مفارقةٍ تاريخيّـةٍ، حينما خلط بيـن مريمين؛ مريـم العـذراء أم المسـيح، ومريـم أخت موسـى وهارون. في حين – واستنادا إلى القرآن نفسه – أن موسـى قد سبق المسيح بقرون. من هؤلاء الكتاب: فريدريش سيلبورج في (السراسينية أو المحمدية)، وإيتيميـوس زيجابيـن فـي (الـدرع العقائـدي)، وجـون أندري مور فـي (تهافت المذهب المحمدي والقرآن)، والكاردينال نقولاس الكوزي في (القرآن المفحوص)، وهورنبيك في (مجموع الخلافات في الدين). ويرد رولان بأن هذه التهمة متهافتة، لأنها لو كانت صحيحة، فسيعني ذلك بطلان سلطة القرآن، إذ كيـف لكتـاب إلهـي أن يخلط بين شـخصيتين مختلفتيـن، بل ويفصل بينهما فاصل زمني طويل يبلغ ألفي سنة.

وبعـد أن اسـتعرض رولان ترجمـة معاني الآية (٢٨) من سـورة مريم مدار هذا التناقض المزعوم، ذكـر أن الشـائع أن ليـس هنـاك هـارون آخر في التاريخ المقدس إلا هارون أخو موسى، ولكن رولان لا يسـتبعد – من باب الافتـراض – أن يكون لمريم أخ يدعى هارون لم تذكره الأنساب، أو أن نساير ما قاله بعض المحمديين – كما لاحظ فيليبو جوادنولي في (دفاع عن الدين المسيحي) – من أن مريم أخت هارون عاشت طويلاً بشكل معجز من زمن موسى إلى زمن المسيح لتصبح أمه.

ثم يستحضر رولان رأي بارتيلمي هربلوت في (المكتبة الشرقية)، الذي ذكر أن أهم مفسري القرآن يذكـرون أن مريم العذراء هي من عائلة عمران، أب موسـى وهارون، فهي من نسـلهما مـن جهة أمها (حنة)، وميـزوا بين عمران والد مريم العذراء، وهو زوج حنة، وعمران والد مريم أخت موسى وهارون؛ بمعنى أن هنـاك عمرانين ومريمين، عمران متقدم هـو والد الإخوة: موسـى وهارون ومريـم. وعمران متأخر هو والد مريم العذراء أم المسيح.

ذكر اختلاف المفسرين في المسألة

ذكـر الطبري [٦٥] أن أهل التأويل قد اختلفوا في معنـى الأخوة، وفي تحديد من هـو هارون في الآية ٢٨ من سـورة مريم، فمنهم من قال: إنهم نسبوها إلى الصلاح، لأن تسـمية (هارون) كانت تطلق على أهل الصلاح فيهم، وليس المقصود هو هارون أخو موسـى. ومنهم من قـال إنه هارون أخو موسـى، ومعنـى كون مريم أخته، أي أنها كانت من نسـله، كما يقال للتميمي: يا أخـا تميم. ومنهم من قال إن هارون هذا كان رجلاً فاسقًا معلن الفسق، فنسبوها إليـه. والصواب عند الطبري أنها نسـبت إلى رجل من قومها يقال له هارون، اسـتنادًا إلى ما ورد في الحديث النبوي:(عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني

(64)la Religion des Mahométans (Eclaircissemens), pp: 176 a 183.

(٦٥) جامـع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٥، ص: من ٥٢٢ وما يليها.

رسول الله (ﷺ) إلى أهل نجران، فقالوا لي: ألستم تقرءون (يا أخت هارون)؟ قلت: بلى، وقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى، فرجعت إلى رسول الله (ﷺ)، فأخبرته، فقال: « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم» (أخرجه مسلم ٢١٣٥). وذكر الرازي بخصوص معنى الأخوة في الآية، وتحديد من يكون هارون المذكور فيها، أن هناك عدة أقوال في المسألة:

- أن هارون هذا رجلٌ صالحٌ من بني إسرائيل ينسب إليه كل شخص عُرف بالصلاح.
- أن المقصود هو هارون النبي، أخو موسى النبي، ومريم هي من أعقابه ونسله.
- أن هارون هذا كان رجلاً معروفًا بالفسق، نسبوا مريم إليه على وجه التشبيه.
- أن هارون هذا هو أخٌ لمريم من صلحاء بني إسرائيل، وعيروها به، وهو الرأي الذي يميل إليه الرازي.

والملاحظ أن كلا من الطبري والرازي قد استبعدا - فلم يذكرا - إمكانية أن تكون مريم في الآية هي مريم أخت موسى وهارون، المشار إليها في الآية (١١) من سورة القصص: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾؛ وهي التي يرى بعض الكتاب المسيحيين أن القرآن قد خلط بينها وبين مريم أم المسيح.

المسألة (٢١): هل وضع محمد هامان، معاصر مردوخ، في قرن فرعون وموسى؟ (٦٦)

تناقش المسألة إشكالا أثارته الآية (٣٩) من سورة العنكبوت: ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾، ذكر رولان أن العديد من الكتاب المسيحيين قد اتهم محمدًا بالوقوع في مفارقةٍ تاريخيّةٍ، حينما وضع هامان في قرن موسى في سورة العنكبوت (الآية ٣٩)، بينما يقولون إن هامان عاش في زمن أحشويروش(*)، وليس في زمن فرعون. ومن بين هؤلاء الكتاب يذكر رولان بيير دو لا سيفالري في (رسالة في غيرة المسيح اتجاه اليهود والسراسنة والكفار)، الذي قال إن محمدًا يضع هامان في زمن فرعون، وهو ما اعتبره جهلاً وخطأً.

ويرد رولان على هذا الاتهام بأن محمدا تكلم في القرآن عن رجل اسمه هامان معاصرٌ لفرعون، لكنَّهُ ليس الشخص الذي تم الحديث عنه في سفر أستير؛ والدليل هو ما نسب إليه في القرآن من أوصاف؛ ففي سورة التحريم(*) يتم الحديث عن هامان هذا باعتباره مستشارا لفرعون، الذي أشار عليه بنصائح ضارة، كالتخلص من زوجته الصالحة. وفي سورة غافر، حيث يطلب فرعون من هامان أن يبني له قصرا عاليا، ليصل إلى إله موسى ليواجهه بكذبه(*). وفي سورة القصص يتم الحديث عن هامان باعتباره

(66) la Religion des Mahométans (Eclair-cissemens), pp: 183 a 188.

(*) ملك فارسي زمن السبي البابلي.

(*) لا يوجد ذكر لهامان في هذه السورة، خاصة الآية ١١ التي تحدثت عن امرأة فرعون.

(*) تقول الآية ٣٦ من سورة غافر:(وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب).

من مقربي الأمير، الكافرين مثله(*). إذن (فتشابه الأسماء لا يدل على شيء حينما تكون الأوصاف محددة تحديدا جيدا) (٦٧) .

ويضيف رولان أنه قد قيل الكثير عن شخصية هامان حتى عند المسلمين، مما يجعل الحديث عنه صعبًا. كما دعا إلى ألا نهتم بهذه المسائل الجانبية التافهة في ردنا على المحمديين، بل ينبغي الرد عليهم بالعودة إلى مقالات أكثر أهمية.

ذكر ما قاله الرازي في المسألة

ذكر الرازي (٦٨) أن اليهود قالت – استنادا إلى الباحثين في تاريخ بني إسرائيل – أن هامان لم يكن موجودًا في زمن موسى وفرعون، وإنما جاء بعدهما؛ وعليه يكون القول بوجود هامان في زمن فرعون خطأٌ تاريخيٌّ. ورفضوا أن يتعلق الأمر بشخص آخر اسمه هامان وُجد في ذلك الزمان؛ لأن هامان الذي قيل إنه وُجد في زمن فرعون كان – حسب ما وُصف به – شخصًا عاليَ المرتبة (بمثابة وزير)، وبالتالي فشخص مثل هذا لا يكون مجهولاً، بل لو كان موجودًا حقًّا لكان معروفًا.

ويردُّ الرازي أن كلام باحثي التاريخ غير معتمدٍ هنا؛ لأن (تواريخ موسى وفرعون قد طال العهد بها واضطربت الأحوال والأدوار) (٦٩) ؛ فهي ليست تواريخ قريبة ومضبوطة غير مضطربة حتى نأخذ بها، لذا يكون الأخذ بما جاء في القرآن أولى.

المسألة (٢٢): هل أنكر محمد أن عيسى المسيح قد مات؟ (٧٠)

تناقش هذه المسألة قضية وفاة عيسى في القرآن، خاصة الآية (٥٥) من سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾. فقد نفى رولان بدايةً أن يكون محمدٌ قد أنكرَ موتَ المسيح، وأشار إلى أن المحمديين في أيامه منقسمون حول هذا الموضوع، كما هو مبين في كتاب بوكوك (لمعة من التاريخ العربي). ويرى رولان أن محمدًا على الرغم من أنه أنكر أن المسيح قد صلب، أو قُتل من قبل اليهود(*)، فقد أعطى مع ذلك سببًا لسماع أنه مات؛ كما في الآية (٣٣) من سورة مريم، حيث يتكلم المسيح ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ ...﴾، وحيث يجيبه الآب ﴿ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾(الآية ٥٥ من سورة آل عمران).

(*) تقول الآية ٦ من سورة القصص:(ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون). والآية ٨ من نفس السورة:(فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين). والآيتان ٣٩ و ٤٠ من نفس السورة كذلك:(واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون ٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين).

(67)la Religion des Mahométans (Eclaircissemens), p: 187.

(٦٨) مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، ج ٢٧، ص: ٦٧.

(٦٩) المصدر نُفسه، ج ٢٧، ص: ٦٧.

(70)la Religion des Mahométans (Eclaircissemens), pp: 188, 189.

(*) يحيل رولان على الآية (١٥٧) من سورة النساء: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً}.

ويقــرر رولان بعد الذي ذكــره، أنه إذا كان هناك محمديــون لا يتبنون هذا الرأي، فإنه من الواضح - بالنســبة له - أنهم يبتعدون عن مذهب نبيهم. كما ويدعو الذين يرغبون في معرفة آراء الشرقيين في الموضوع إلى العودة إلى ما كتبه لويس مراتشــي (مراكشي) في (مقدمة لدحض القرآن).

ذكر اختلاف المفسرين في المسألة

ذكر الطبري أن أهل التأويل قد اختلفوا في معنى الوفــاة في الآيــة (٥٥) من ســورة آل عمــران [٧١]، فهنــاك من قال إنها وفاة النوم، أي أن الله رفعه في منامه. وقــال رأي آخر إن معنى الوفاة هو القبض، والمعنى: إني قابضك من الأرض فرافعك إلي. وقال رأي آخــر إن معنى الوفاة هنا هو الموت، والمعنى: إنــي متوفيك وفاة موت. وقــال رأي آخر إن في الآية تقديمًا وتأخيرًا، والمعنى: إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا، ومتوفيك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا.

وأولــى الأقــوال بالصحــة عنــد الطبــري، هو أن معنــى الوفاة فــي الآية هو القبض مــن الأرض، أي إنــي قابضك من الأرض ورافعك إلي، دون أن يعني هذا القبــض الإماتة، يقول الطبري: «ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل، لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى[*]، فيجمع عليه ميتتين» [٧٢].

وذكــر الــرازي أن أهــل التأويــل قــد اختلفوا في معنى (التوفي) الوارد في الآية (٥٥) من ســورة آل عمران[٧٣]، حيث توزعوا إلى اتجاهين:

- الاتجــاه الأول، قد اعتمد ظاهــر الآية، وتأول التوفي بمعان عدة:

١. التوفــي بمعنى إتمام الأجــل (متوفيك أي متمم عمرك)؛ أّي أن الله لن يتوفى عيسى حتى يتم عمره، وأجله الذي قدره له، لذا رفعه الله إلى السماء صونًا لــه من القتل. وقد استحســن الرازي هــذا التأويل؛ ومعنى هذا الكلام أن موت عيســى قد أخره الله إلى ما بعد الرفع، لكي يتم عيســى الأجل (العمر) الذي قدره الله له.

٢. التوفــي بمعنــى الإماتة (متوفيــك أي مميتك)، أي أن اللــه قــد أمات عيســى علــى الأرض، حتى لا يتمكن اليهود من قتله، ثم رفعه إلى الســماء. وذكر الرازي اختلاف الآراء في المدة التي استغرقها موته «المؤقت»، بين من قال: ثلاث ساعات ثم رفع، وبين من قال سبع ساعات ثم أحياه الله ورفع.

٣. الــرأي الذي يقول إن الله توفــاه حين رفعه إلى السماء.

٤. الــرأي الذي يقــول إن الله توفاه ثــم رفعه بهذا الترتيب، لكننا لا نستطيع أن ندرك كيف يفعل الله هذا، ومتى يفعله.

٥. التوفي بمعنــى التوفي عن الشــهوات وحظوظ النفس، ليصير عيسى فانيًا عما سوى الله، فيصير بذلك مهيَّئًا لجــوار الملأ الأعلى، فيصير حاله بذلك كحال الملائكة في زوال الشهوة والغضب والأخلاق الذميمة.

---

(٧١) جامــع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٥، ص: ٤٤٧ وما يليها.

(*) أي بعد عودته إلى الأرض في آخر الزمان.

(٧٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٥، ص: ٤٥٢.

(٧٣) مفاتيــح الغيــب من القرآن الكريــم، ج ٨، ص: ٧٤ وما يليها.

٦. التوفي بمعنى أخذ الشـيء وافيًا، أي أن الله رفع عيسى بتمامه إلى السماء.

٧. متوفيـك: أي (أجعلـك كالمتوفـي لأنـه إذا رُفع إلى السـماء وانقطع خبره وأثره علـى الأرض كان كالمتوفي، وإطلاق اسم الشيء على ما يشابهه في أكثر خواصه وصفاته جائزٌ حسنٌ) [٧٤].

٨. التوفي بمعنى القبض، وقد يكون التوفي بمعنى الاستيفاء.

٩. التوفي بمعنى اسـتيفاء العمل، ورفعه إلى الله،؛ أي أن الله بشـره أن أجر وثواب ما كابده في دعوته من مشاقٍ لن يضيع.

- أما الاتجاه الثانـي فيخالف ظاهر الآية، ويقول بوجود تقديم وتأخير، ويصير المعنى بالتالي (إني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالـي إياك في الدنيا)[٧٥]، أي أن الله رفع عيسـى حيًّا، مطهِـرًا إياه من الذين كفروا، وسـيتوفاه بعد نزوله من السماء(في آخر الزمان).

ويميـل الرازي إلى المعاني التي قال بها الاتجاه الأول، ويرى فيه غنىً (عن التزام مخالفة الظاهر)[٧٦]. والملاحظ أن الرأي الثاني الذي ذكره الرازي ضمن آراء الاتجـاه الأول، والقائل أن التوفي في الآية يعني المـوت على الأرض موتًا مؤقتًا عقبه رفع، هو الرأي الذي يقترب نسبيًّا من التصور المسيحي للقضية.

المسـألة (٢٦): هل يتناقض مؤلف القرآن مع نفسه بخصوص القرآن عينه؟[٧٧]

تناقش هذه المسـألة الإشـكال الذي أثارته كلمة (فرقـان) لدى بعض الكتاب المسـيحيين، كما في الآية (٤٨) من سـورة الأنبياء ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَـى وَهَـارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْـراً لِّلْمُتَّقِينَ﴾، والآية (٥٣) من سـورة البقرة:﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَـى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَـانَ لَعَلَّكُـمْ تَهْتَدُونَ﴾. فقد قيـل إن القرآن يناقض نفسـه؛ فهو يؤكد تارة أن الله منح الفرقان لمحمد، أي القرآن(*)، بينما يقول في موضع آخر، إن الله منح الفرقان لموسى وهارون؛ وهو ما يخالف – حسب هؤلاء الكتاب – ما ورد في اللاهوت المحمدي؛ باعتبار تشريع محمدٍ، هو التشريع الأخير، والوحي الأكمـل، وعليـه يُطـرح السـؤال: كيف يكـون هو التشريع الأخير، إذا كان قد نزل على موسى وهارون من قبل؟

ويذكر رولان أن العديد من الكتاب المسيحيين قد اعتبروا ذلك تناقضا، وغباءً من محمد، منهم؛ فيليبو جوادنولي في (دفاع عن الدين المسـيحي)، وجون أندري مور في (تهافت المذهب المحمدي والقرآن)، اللذين كانا ممن سعوا لإثبات أن الأمر تناقض، بينما اعتبـر رولان أنهما لم يُظهرا إلا جهلهما، ذلك لأنهما يخلطان بين مفردتين مختلفتيـن تماما، إحداهما عامة، والأخرى خاصة؛ فالفرقان كلمة عربية، تعني عمومًا، كل كتاب سماوي موحى به، يميز بين الخير والشـر. أما القرآن فهو لفظ يدل دلالة خاصة على كتاب محمد.

(٧٤) المصدر نُفسه، ج ٨، ص: ٧٥.

(٧٥) المصدر نُفسه، ج ٨، ص: ٧٥.

(٧٦) المصدر نُفسه، ج ٨، ص: ٧٦.

(77) la Religion des Mahométans (Eclair-cissemens), pp: 205 a 207.

(*) كما في الآية الأولى من سورة الفرقان {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}.

ويذكـر رولان أن القرآن هو بمعنى من المعاني فرقان، لأنه يميز – حسـب محمد – بين النقيضين في أمر الدين؛ أي معرفة الخير والشر. لكن ليس كل كتاب فرقان هو القرآن؛ ويعطي رولان مثالاً بكتاب الناموس والتوراة وأسـفار موسـى الخمسة، فهي وحي إلهي وفقًا لمحمد، وهي فرقان يميز بين الحق والباطل، بين الفضيلـة والرذيلة، بين اللوم والثناء، لكنها ليست قرآنًا. ويذكر رولان أن المترجم دو رييه في ترجمته الفرنسية للقرآن، قام سعيًا منه؛ لتجنب كل غموض، بترجمة كلمة (الفرقان) في الآية (٤٨) من سـورة الأنبياء(*)، كما يلي:« لقد منحنا موسـى وهارون الكتاب الذي يميز بين الخير والشر» [٧٨]. إذن، فمحمد قد اعتبر القرآن وناموس موسـى والإنجيل شـيئًا واحدًا، حيث منح اسم (الكتاب) لهذه الثلاثة الموحى بها.

ذكر اختلاف المفسرين في المسألة:

ذكر الطبري[٧٩] أن أهل التأويل اختلفوا اختلاف عبارة في تأويل ﴿...يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً ...﴾ في الآية (٢٩) من سورة الأنفال(*)، بين من قال: الفرقان هو المخـرج، ومن قال هو النجاة، ومن قال هو الفصل (بين الحق والباطـل)، وهي تأويلات يراها الطبري متقاربة المعاني. وفسر الطبري[٨٠] كلمة (الفرقان) في الآية (٥٣) من سـورة البقرة، بـأن الفرقان هو الكتاب الذي فرق وفصل به الله بين الحق والباطل، وهـو نعت للتـوراة وصفة لها. وفسـر كذلك كلمة (الفرقـان) في الآيـة (٤٨) من سـورة الأنبياء، بأن الفرقـان هو الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل، وهـو التـوراة عند البعـض، أما الطبـري فيرى أن (الفرقان) في الآية غير التوراة.

وذكـر الرازي[٨١] في تناوله للآية (٤) من سـور آل عمران: ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ...﴾، أن لجمهـور المفسـرين أقـوال في عبـارة (وأنزل الفرقان):

١) أن الفرقان هو الزبور.

٢) أن الفرقان هو القرآن.

٣) أنـه الكتب الثلاثة (التـوراة والإنجيل والقرآن)؛ لأنها فارقة بين الحق والباطل،

وهو قول الأكثرين.

والآية عند الرازي مشكلة؛ وقد فسر المراد بالفرقان – بعد أن اسـتبعد الأقوال الثلاثة – بالمعجزات التي ربطها الله بإنزال هذه الكتب، وهذه المعجزات هي دليـل الأنبياء على صدق دعواهم، ففرقت بذلك بين

(*) رولان يحيل على سـورة البقـرة، ولربما التبس عليه الأمـر في الآيـة (٥٣) {وَإِذْ آتَيْنَا مُـوسَى الْكِتَـابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} ، بينما الآية ٤٨ من الأنبياء تذكر الأخوين موسى وهارون، وهو ما ترجمه دو رييه.

(78) la Religion des Mahométans (Eclair-cissemens), p: 207.

(٧٩)جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١١، ص: ١٢٧، ١٢٨.

(*) تقول الآية (٢٩) مـن الأنفال: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }

(٨٠) جامـع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١، ص: ٦٧٦ إلى ٦٧٨.

(٨١) مفاتيـح الغيب من القرآن الكريم، ج ٧، ص: ١٧٣، ١٧٤.

دعوى الصادق، ودعوى الكاذب.

وذكـر الرازي [٨٢] في تناوله للآية (٤٨) من سـورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاء وَذِكْـراً لِّلْمُتَّقِيـنَ﴾، أن هنـاك اختلافًـا فـي المراد بالفرقان:

١) أن الفرقـان هـو التوراة، لأنهـا تفرق بين الحق والباطل.

٢) أن الفرقان ليس هو التوراة، بل يحتمل أن يكون:

أ/ نصر الله لموسى.

ب/ أن الفرقان هو البرهان الذي فرق به دين الحق عن الأديان الباطلة.

ج/ أن الفرقان هو انفراق البحر(المعجزة).

وذكـر الـرازي[٨٣] أيضا في تناولـه للآية (١٨٥) من سـورة البقرة: ﴿شَـهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...﴾، أن المقصـود بعبارة (الهدى والفرقان)، هو التوراة والإنجيل، فالقرآن إلى جانب كونه هدىً في نفسـه، فيه أيضًا هدىً من الكتب المتقدمة عليه، والتي هي هدىً وفرقانٌ.

المسألة (٣٠): هل تناقض محمدٌ مع نفسه أيضًا، فقال مرة إنه يقود الناس إلى طريق الخلاص، ومرة إنه لا يعرف ما يكون عليه هو نفسه وأتباعه؟ [٨٤]

تناقـش هذه المسـألة فهم الآية (٩) من سـورة الأحقـاف: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُـلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِـي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَـا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، ذكر رولان أن العديد من الكتاب المسـيحيين قد اتهم محمدًا بالتناقض، فهو يقول فـي القرآن مرارًا إنه يهدي إلى الطريق الحق، ويَعِدُ بالخلاص والجنـة للمؤمنين، بينمـا يعترف - في موضـع مـن القـرآن – أنه لا يعرف مـا يجب عليه فعله، ولا يدري إن كان حقا هو وأتباعه على طريق الخلاص.

مـن هـؤلاء الكُتـاب جيـروم سـافونارول فـي (تعليقات علـى المذهب المحمـدي)، الذي ذكر أن محمدًا قـد تناقض في مقطع قرآنـي، يعترف فيه بأنه لا يعرف فيما إذا كان هو وخاصته على طريق الخـلاص(*)، ومقطع آخر، يعلن فيـه ألا أحد بقادر على فهم القرآن(*).

واسـتعرض رولان رأي (مؤلف الحجة الرابعة)(*)، الذي ينتقد ادعاء محمد بأنه لا يسـتطيع إنسان بما في ذلك هو نفسـه إعطاء تفسـير للقرآن، وأن الله وحده من يعلم تفسيره(*). ويتساءل هذا الكاتب، إذا كان ذلـك كذلك فما فائدة كتابـه؟ وهذا دليل - في نظره - على أن تشريع محمد ليس وحيا إلهيا، لأنه يفتقر إلى الوضوح والعدالـة. وذكر رولان أيضًا أن

(٨٢) المصدر نفسه، ج ٢٢، ص: ١٧٨.

(٨٣) المصدر نفسه، ج ٥، ص: ٩٤.

(84)laReligiondesMahométans(Eclaircissemens), pp: ٢١٦ a ٢٢٤.

(*) يقصد الآية ٩ من سورة الأحقاف.

(*) يقصـد الآية ٧ من سـورة آل عمـران: {.... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ...}.

(*) لم يذكر اسمه.

(*) يقصد الآية ٧ من سورة آل عمران.

الكاردينال نقولاس الكوزي في تناوله للآية (٩) من سـورة الأحقاف، في (القرآن المفحوص)، اتهم هو الآخر محمدًا بالتناقض.

ينفـي رولان أن محمّـدًا ناقضَ نفسَـه في الآية (٩) من سـورة الأحقـاف، ويـرى أن مقصود الآية هـو أن محمدًا لا يدعي معرفـة الغيب، وأنه لا يقومُ بكل شـيء، وأن ما يقوم به ليس من تلقاء نفسـه، بل هو وحيٌ من الله، وكأنَّه يقول: «أنا لسـت ملاكًا ولا إلهًا، ما أنا إلا رجلٌ بسـيطٌ، معرفتي محدودةٌ، لا أعلمُ الغيبَ، لا أستطيع أن أخبركم بما سيحدث لي ولكم، وإذا حدث وأخبرتكم بشيء جديد أكثر كمالاً مما رأيناهُ حتى الآن، وإذا حددت بثقة ما سـيحدث للأخيار وللأشرار بشكلٍ عام في الدنيا والآخرة، فأنا لا أتكلم من عنديتي، بل أتبع الوحي الذي أكرمني به الله) [٨٥].

أمـا بخصوص ما قيل من أن محمدًا قد ادّعى أن قرآنه لا يفهمه إلا الله، فقد قام رولان بترجمة معاني عدة آيات (٢ – ٧) من سـورة آل عمران، تعالج هذا الأمر: ﴿اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ{٢} نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَـابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْـهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيـلَ{٣} ... وَأَنـزَلَ الْفُرْقَـانَ إِنَّ الَّذِيـنَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَـدِيدٌ ... لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ{٦} هُـوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْـكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ...{٧}﴾.

وبعد أن بخس رولان من قيمة القرآن، اسـتدرك قائلا: «لكن دعونا لا نقول إن محمدا قد تناقض مع نفسـه عندما قال للنفوس الفضولية الشكاكة، بأنه لا يوجد سـوى الله من له فهم كامل لوحيه بصورة صحيحة» [٨٦].

ذكر اختلاف المفسرين في المسألة

ذكـر الطبـري[٨٧] أن أهل التأويل قد اختلفوا في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ...﴾، فهناك من قـال إن التأويل هو(قل للمؤمنين بـك يا محمد: أني ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامـة) ثم جاء قرآن يبيـن للنبي وللمؤمنين معه حالهم فـي الآخرة:﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحـاً مُّبِيناً {١} يَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِـن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ...{٢}﴾ (الآيتان ١ و٢ من سورة الفتح).

وهنـاك مـن قـال إن الآيـة أمر من اللـه لنبيه أن يقوله للمشركين، وليعلم النبي أنه لا يدري مصيره ومصيرهم في الدنيا، هل سـيقتلونه أو يخرجونه، أم هل سـيؤمنون به ويتبعونه؟ هل سـيكونون أمة مكذِّبة أم أمة مصدقة؟.

وهناك من قال إن المعنى:(وما أدري ما يفترض علـي وعليكم، أو ينزل من حكـم). وقال آخرون إن

(85)la Religion des Mahométans (Eclaircisse-mens), pp: 220, 221.

(86)Ibid, p: 223.

(٨٧) جامـع البيـان عن تأويـل آي القـرآن، ج ٢١، ص: ١٢٢، ١٢٣.

الأمر يتعلق بأمر آخـر غير التواب والعقاب. ويميل الطبري إلى الرأي الثاني، الذي يرى أن في الآية أمر من الله لنبيه، ليخبرَ المشركين بأنه لا يدري مصيره ومصيرهـم في الدنيا، وليس فـي الآخرة، لأن هناك آيات عديدة قد حسمت مصير المشركين في الآخرة، وهو النار، وأن مصير المؤمنين هو الجنة، فلو كان النبي لا يعلم مصيره ومصيرهم في الآخرة لقالوا له: (علام نتبعك؟ وأنت لا تدري مصيرك في الآخرة!).

وذكر الرازي(٨٨) أن هناك وجهين في تفسـير قوله تعالى:{ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ...}، فالوجه الأول: هـو عـدم الدراية بالمصير فـي الدنيا؛ وفيه وجوه منها:

١) أن النبي لا يدري مصيره ولا مصير قومه.

٢) أن النبـي لا يـدري ما يؤمر بـه ولا ما يؤمر به أتباعه في باب التكاليف والشرائع والجهاد، ولا في الابتلاء والامتحان.

٣) أن النبي لا يدري مصيره في الدنيا: هل سيموت أم يقتل، ولا يدري

مصيـر المكذبيـن: هل سـيرمون بحجـارة، أم يخسف بهم... .

أمـا الوجه الثاني: فهو عدم الدراية بالمصير في الآخرة، حيث روي أن المشركين والمنافقين واليهود قد فرحوا لما سـمعوا بهذه الآية، وقالوا: كيف نتبع نبيـا لا يدري ما يفعل به وبنا؟ ثـم جاء قرآن يبين فيـه مصير النبي، ومصيـر أتباعه:﴿إِنَّـا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحـاً مُّبِيناً {١} يَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ...{٢}﴾ (سـورة الفتـح ١-٢). غير أن أكثر المحققين - كمـا يذكر الرازي - اسـتبعدوا الوجه الثاني في تفسـير الآية. والملاحـظ أن فهم الكُتاب المسـيحيين للآيـة كان أقرب إلى فهم المشـركين والمنافقيـن واليهود، الذي ذكـره الرازي في الوجه الثاني من تفسير الآية، بينما كان فهم رولان وتأويله أقرب إلى الوجه الأول.

المسـألة (٣٢): هل يسمح للمحمديين - انطلاقًا من مبادئ دينهم - أن يتزوجوا بكثير من النسـاء، اللائي يمكنهم رعايتهن؟(٨٩)

تناقـش هذه المسـالة فهم الآية (٣) من سـورة النساء:﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُـواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ﴾.

ذكـر رولان أن العديـد من الكتاب المسـيحيين قد اتهم المحمديين بكون شـرعِهم يسمح لهم بأن يتزوجوا ما شاء لهم من النساء؛ منهم آدم أوليريوس فـي (وصف الرحلـة إلى موسـكوفيا، تتاريا وبلاد فارس)، وبيير جريجوار التولوزي في (سـينتاجما قانون العالـم)، وآخرون غيرهمـا، كبيير بايل في (القاموس التاريخي والنقدي)، الذي قال إن الشرع المحمدي يحدد عدد النساء المسموح بزواجهن في إثني عشر، وتحرم الزيادة على هذا العدد.

(٨٨) مفاتيح الغيب من القرآن الكريم، ج ٢٨، ص: ٨.

(89)la Religion des Mahométans (Eclaircissemens), pp: 226 a 244.

ويتســاءل رولان من أين أتى بايل بهذا القانون، فــي حين أن القرآن صريح في هذا الأمر (الآية (٣) من سورة النساء)، فالمحمديون كاليهود لا ينظرون إلى التعدد باعتبــاره خطيئة، وهم عادة يرضون - كما يقول رولان- بزوجــة واحدة، لكن هذا لا يمنع من شراء الجواري والخدم.

ءويــرى رولان أن المحمدييــن قــد حصلوا على امتيــاز التعدد غير المقيد من نبيهــم محمد، الذي تزوج هو الآخر أربعة عشر زوجة، لم يتزوجهن في نفس الوقت؛ بينما يرى المسلمون أن الإذن الإلهي لمحمــد بالزواج بعدد أكبر من النســاء مقارنة مع بقية المحمديين، لم يكن لإشــباع الرغبة، بل خدمة للديــن؛ وهو ما حدث - كما يقــول رولان - فجميع القبائل التي تزوج منها النبي قد أسلمت.

ويشــير رولان إلى فقرة من كتاب (السراســينية أو المحمديــة) لفريدريــش ســيلبورج، حيث كان يُطلَب من المتحولين عن المحمديّة إلى المسيحيّة التصريح بلعن وكــره زوجات النبي؛ ولا غرابة من هــذا الطلب - كما يــرى رولان - ؛ لأنه بفضل هؤلاء النســاء وعائلاتهــن وقبائلهن اســتطاع محمد أن يتقوى.

ذكر اختلاف المفسرين في المسألة

سنركز فيما يأتي على مسألة عدد النساء المسموح به في التعدد:

ذكــر الطبــري[٩٠] أن أهل التأويل قد اختلفوا في تأويل الآية (٣) من سورة النساء، فهناك من قال إن معنى الآية أن اليتيمة (المحجور عليها من ولي) إذا كبرت وأراد وليها الزواج منها، وخشــي ألا يقســط فــي صداقها، فــلا يتزوجها - إلا إذا أقســط لها في صداقها - بل يتزوج غيرها من الغرائب، من الواحدة إلــى الأربع. وهناك من قال إن معنى الآية هو النهي عن الزواج فوق الأربع من النســاء، وذلك خشــيةَ أن يَســتغِلَّ وليُ الأيتام (المحجور عليهم) مالهم - في حــال صار معدمًا - ليتزوج به نســاءً أخريات فوق الأربع، وينفقه عليهن. وقال آخرون في معنى الآية: أن القوم كانوا يخشون ألا يعدلوا في أموال اليتامى (المحجور عليهم)، في حين لا يخشون عدم العدل بين نسائهم، وبالتالي فمعنى الآية: إنكم كما تخشون عدم العدل في أموال اليتامى، فعليكم أيضا خشــية عدم العدل بين نسائكم، فلا تتزوجوا إلا من الواحدة إلى الأربع.

وهناك من قال إن المعنى هو: أنكم كما تخشون عدم العــدل في اليتامى (المحجور عليهم)، فكذلك اخشوا الزنا بالنساء؛ لذا تزوجوا ما طاب لكم منهن. أما الطبري فيرى أن أولى الأقوال المذكورة في تأويل الآية، هو القول الذي يرى أن المعنى: (وإن خفتم ألا تقســطوا في اليتامى، فكذلك خافوا في النساء فلا تنكحوا منهن إلا ما لا تخافون أن تجوروا فيه منهن من واحدة إلى الأربع...).

وذكر الرازي[٩١] في مســألة العدد - في معالجته للآية ٣ من سورة النساء - أن هناك قومًا ذهبوا إلى

(٩٠) جامــع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٦، ص: ٣٥٨ إلى ٣٦٧.

(٩١) مفاتيــح الغيب من القرآن الكريم، ج ٩، ص: ١٨٠، ١٨١.

أنــه يجوز التزوّج بأي عددٍ أريدَ. أما الفقهاء فيرون أن العدد محصور في أربع، معتمدين على طريقين؛ الأول هو الخبر: كما في الحديث الذي قال فيه النبي لغيلان بعدما أســلم، وقد كان متزوجا بعشر نساء: (أمســك أربعا وفارق باقيهن). أمــا الطريق الثاني فهو الإجماع، حيث أجمع فقهاء الأمصار أنَّه لا تجوز الزيادة على الأربع، وهذا هو المعتمد.

والملاحظ أن الكتاب المســيحيين كانوا مطلعين على اختلاف المســلمين في عدد النساء المسموح به في التعدد، وهو ما تم استغلاله لمزيدٍ طعنٍ في شــخص النبي، متهمين إيّاه بالشــهوانية كما رأينا سابقًا.

خاتمة

يمكن القول إن أدريان رولان قد سعى في كتابه (ديانة المحمديين)، إلى مواجهة الإســلام بســلاح المعرفة المتعمقة، عوض ســلاح الدعاية والترويج للمغالطات والأحكام المسبقة الذي اعتمده سابقوه، لذا قرر مراجعة كثير من هذه الأحكام المسبقة، وهو مــا رأيناه في المســائل التي تعلقت بفهم نصوص قرآنية معينة. وفيما يلي عرض لبعض الاستنتاجات التي توصل إليها البحث:

• عن مصادر رولان في القســم الثاني: وجد أدريان رولان أمامــه تراكمًا مهمًا من الكتابات المســيحية الغربية عن الإســلام، منذ القرون الوســطى وصولاً إلى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، وهي كتابات كانت قد امتــلأت بالأحكام المســبقة، والمغالطات الفادحــة؛ وهــو ما ظهــر فــي نقــد رولان للكُتاب المسيحيين الذين تناول مواقفهم.

وقد اختصت كتابات القرنين الســادس عشــر والسابع عشر بخصوصيتها المميزة، حيث صارت النظرة الفكرية إلى الإســلام مباشرة أكثر، وهادئة أكثر؛ وقد كانــت هذه الكتابات هي المصادر الأكثر حضــورًا في القســم الثاني من الكتــاب (أكثر من أربعيــن مؤلَفًــا)، بما فيهــا تلك المعاصــرة لرولان (تجاوزت العشرة). ويلاحظ كذلك أن الكُتّاب الذين عاد رولان إلى كتاباتهم كانوا من جنسيات أوروبية مختلفــة (يونانيــة، إنجليزيــة، ألمانية، فرنســية، إيطالية، إســبانية...)، إلى جانب عودته إلى كتابات بعض الكُتاب الشــرقيين (مســيحيين ومسلمين): (يوحنا الدمشــقي(*): (الهرطقــات)؛ برهان الدين الزرنوجــي(*) (تعليــم المتعلم في طريــق التعلم)؛ أحمد بن زين العابدين الفارسي الأصفهاني: (صاقل المــرآة)؛ إبراهيم الحاقلانــي(*): (مختصر مقاصد حكمة فلاســفة العــرب)؛ جبرائيــل الصهيوني(*): (مــدن المشــرق وعــادات أهلهــا)). ويبقــى أكثر الكُتاب المسيحيين ورودًا في المسائل التي تطرقنا إليها:(الكاردينال نقولاس الكوزي (ق ١٥)، المترجم الفرنســي دو رييــه (ق ١٧)، تومــاس اليســوعي، يوهانس هورنبيك (ق ١٧)، إيتيميوس زيجابين (ق

(*) Jean de Damas (675 ou 676 – 749)

(*)Burhan al-Din al-Zarnuji / Burhan al-Islam al-Zarnuji / az-Zarnuji (d. 620 AH/1223 CE)

(*) Abraham Ecchellensis (1605 – 1664)

(*)Gabriel Sionite (1577 – 1648)

١٢/١١)، فيليبــو جوادنولي (ق ١٧)، جون أندري مــور (ق ١٦). وقد كانت أغلــب الكتابات التي عاد إليها رولان في المسائل التي عالجناها منتمية للقرن السابع عشر؛ بما فيها تلك المعاصرة له، أما الكتابات المنتمية للقرون الوسطى والمرحلة المبكرة لعصر النهضة فقد كانت قليلةَ الحضور؛ ومن أبرز من عاد إلــى كتاباتهم في هذه المرحلــة نذكر: (إيتيميوس زيجابيــن(ق١١/١٢)، بطرس المحتــرم (ق١٢)، روبــرت كيتون، وهرمان الكارينثــي (أو الدلماتي) (ق١٢)، بارتيلمــي الرهــوي (ق١٢/١٣). توماس برادفاردينوس (ق١٤)، الكاردينال نقولاس الكوزي (ق١٥)، بييــر دو لاســيفالري (ق١٥)، جيــروم سافوناورول (ق١٥).

وقــد كان فــي وســع رولان كذلــك أن يعــود إلى مصادر أخرى ســابقة عليه، اتسم تناولها للإسلام بنســبة مهمة من النضج، والتي يبقــى غيابها عن الكتاب دافعًا آخر للتساؤل والبحث؛ خاصة أنه كان يستشــهد بمواقف لكتاب غربيين يراهم منصفين في بعض مسائله، من هذه المصادر نذكر: (أنسيلم تورميدا(*)(عبــد الله الترجمــان) في كتابه: (تحفة الأريب في الــرد على أهل الصليب) ١٤٢٠. وهنري ستوب(*):(ســرد لصعود وتقــدم المحمدية)، كتبه ما بيــن ١٦٦٨ و ١٦٧٦. وريتشــارد ســيمون في كتابه (التاريخ النقدي لعقائد وعادات أمم الشــرق) ١٦٨٤...)

(*) Anselm Turmeda: (1355 – 1423)

(*) Henry Stubbe: (1632 – 1676)

• **عن منهج رولان في مســائله:** أمّا فيما يخص منهــج رولان في معالجة المســائل التي همّت فهم النصــوص القرآنية، فقد كان يــورد مواقف العديد من الكُتّاب المسيحيين الملوحين برأي خاطئ حول مســألة معينة تتعلق بفهم نــص قرآني معين، وقد يختار أحدهــم أو بعضًا منهم ليفصــلَ في موقفه أكثر، أو يُورد اقتباسًــا من كتاب. ثم ينتقل بعدها؛ ليبين تهافت آرائهم، التي يعزوها – في الغالب – إلى سوء الترجمة، وإلى معرفتهم القليلة باللغة العربية، حيث يقدم ترجمة بديلة لمعاني النص القرآني مَثَار ســوء الفهم، هي الأقرب في نظره إلى الصواب، كما ينوه – في مناسبات عديدة – بالترجمة الفرنسية لدو رييه، وقد يستشهد بترجمة معاني نصوصٍ قرآنيةٍ أخرى لدعم فهمه لمسألةٍ من المسائل، كما قد يشير إلى رأي المسلمين في مسألة معينة إشارة مجملة، أو يعزز رده أحيانًا بإيراد مواقف لكُتّاب مسيحيين يعتبر رأيهم منصفًا في المسألة، أو يرد عبر اعتماد تأويل عقلاني مقنع.

• **اســتحضار القــارئ:** حيث ننطلق من الســؤال التالــي: هــل اســتحضر رولان ردود فعــل القارئ الأوروبي المسيحي وهو يراجع ويصحح العديد من الأحكام المسبقة عن الإسلام؟

يبدو أن رولان كان مستحضِرًا وبقوة لردود فعل القارئ المســيحي، وهو ما نشــعر به في مسايرته للكتاب المسيحيين في رميهم لنبي الإسلام بصفات ســلبية، وكأنه يريد أن يبين للقارئ أنه في الصف

المسيحي، وكذا خشية من اتهامه باعتناق الإسلام، وهــي تهمة كانــت بالغة الخطورة فــي ذلك الإبان. ثم ينتقل بعد هذه «الاستراتيجية» إلى بيان تهافت رأي الكتاب المسيحيين في المسائل التي عرضها. لقد كان كتاب رولان خطوةً جريئةً جدًا في عصره، حيث تناول الإسلام – بغض النظر عما وصف النبي من صفات سلبية – تناولاً ناضجًا مقارنةً بالكُتّاب المسيحيين قبله في القرون الماضية، وكذا كثير من الكتّاب الذين جاءوا بعده. بل ودعا رولان القارئ إلى قــراءة المصادر في لغتها الأم، واعتبر أن هذا الدين قد أسيء فهمه [٩٢] ، وعانى من تشويه كبير[٩٣].

• **الجانــب الحجاجي في مســائل رولان:** وظّف رولان العديدَ من التقنيات الحجاجيّة في مســائله؛ لإقناع القارئ بتهافت مواقف الكتاب المســيحيين، كان أبرزهــا: الاستشــهاد والاقتبــاس والمقارنــة والاســتفهام. وقد أثار انتباهنا توسّــل رولان بالقوة الحجاجية للاستفهام في مناسبات عديدة، خاصة ذلــك الــذي وظّفه في ســياق الإنكار؛ والاســتفهام الإنكاري هو تقنية حجاجيّة قويّة تساعد على إظهار تهافت رأي الخصم؛ مــن خلال دعوته إلى التفكير ومراجعــة النفــس، مما يوقعــه في الحــرج؛ وهي اســتفهامات تنطلق من ثقة رولان بنفسه وبصحة اعتراضه وإنكاره، في حين أنها تزعزع ثقة الخصم بنفسه.

• **الخلفية النقدية:** سعى رولان في مسائل القسم الثاني من كتابــه إلى الإنصاف والحياد عبر البحث والاســتقصاء. فقد كان على معرفة جيدة بالإسلام وبكتابه المقدس، لاســيما أنه يجيــد اللغة العربية، وهــو ما مكنه مــن العودة إلى المصــادر في لغتها الأم؛ كمــا دافــع على تعلم اللغــة العربية للمهتمين بمواجهــة الإســلام، ودعاهم للعودة إلــى المصادر والابتعاد عن الترويج للمغالطات، وأن يكون سلاح مواجهة الإسلام هو سلاح المعرفة المتعمقة؛ وعليه فقــد كان الســعي إلى الحيــاد والإنصــاف اختيارًا ضروريًّا لرولان؛ ليواجــه به ردود فعلٍ متوقعة من القرّاء. كما حضرت سمة الذاتيّة كذلك، من خلال تلك النعوت الســلبية التي نُعت بها الإسلام والمسلمون ونبيُّهــم، دون أن يعنــي هذا أن رولان مشــارك في هذه المغالطات المــروج لها من قبل هؤلاء الكتاب، بــل هي نعــوت كانت – في جزء كبيــر منها – ذات طبيعة «اســتراتيجية"، هدفها إرضاء رولان للقراء تجنُّبًا لرميه باعتناق الإسلام، وكذا امتصاص لردود فعلهم المتوقعة، بسبب الاســتفزاز الذي قد يُخلِّفُه وجود كاتب مســيحي، يبين أن كثيرًا من أحكامهم عن الإسلام كانت خاطئةً في أصلها.

• **قيمة العمل:** يمكن القول إجمالاً إن كتاب (ديانة المحمدييــن) لأدريــان رولان قد ســاهم فــي إبراز بعض ملامح الإســلام، في مرحلة كانت المعرفة به في أوروبا جدُّ قليلة، بــل مغلوطة. وبهذا العمل قد

(92)la Religion des Mahométans (préface du traducteur), p: CXII.

(93)Ibid, p: CXXII.

أضاف رولان إلى من سبقه ممن كتب عن الإسلام – خاصة هنري ستوب في كتابه (سرد لصعود وتقدم المحمدية) – إضافة نوعية، تسمح لنا بالقول إن الإسلام لم يحضر دائمًا مشوهًا في الكتابات الأوروبيّة الغربيّة.

المصادر والمراجع

١) بالعربية

• القرآن الكريم

• جعيط، هشام. أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر. الطبعة الثانية ٢٠٠١.

• حوراني، ألبرت. الإسلام في الفكر الأوروبي. بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع. ١٩٩٤.

• الرازي، أبو عبد الله فخر الدين. مفاتيح الغيب من القرآن الكريم (التفسير الكبير). دار الفكر. الطبعة الأولى ١٩٨١.

• الزين، محمد شوقي. الإزاحة والاختلاف صفائح نقدية في الفلسفة الغربية. الدار العربية للعلوم ناشرون. الطبعة الأولى ٢٠٠٨.

• الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله التركي. دار هجر. الطبعة الأولى ٢٠٠١.

٢) بغير العربية

• Mantzavinos, C., «Hermeneutics,»,in The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Spring 2020 Edition), Ed. Edward N. Zalta, URL = <https://plato.stanford.edu/archives/spr2020/entries/hermeneutics/>.

• Reland, Adrian, la Religion des Mahométans, tirée du latin de M.Reland, (traduite en francais par David Durand). La Haye, Vaillant, 1721.